د. إبراهيم عوض

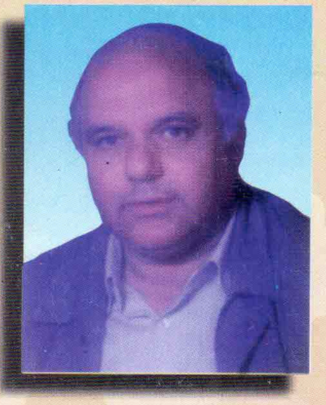


د. محمد مندور
بين أوهام الادعاء العريضة وحقائق الواقع الصلبة

(ثلاث قضايا ساخنة)

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

مكتبة زهراء الشرق
١١٦ محمد فريد - القاهرة



د. إبراهيم عوض

- ليسانس آداب جامعة القاهرة ١٩٧٠م
- دكتوراه من جامعة أوكسفورد ١٩٨٢م
- عضو هيئة التدريس بآداب عين شمس
- له عدد من المؤلفات النقدية والإسلامية منها :

* معركة الشعر الجاهلى بين الرافعى وطه حسين
* المتنبى – دراسة جديدة لحياته وشخصيته
* لغة المتنبى – دراسة تحليلية
* المتنبى بإزاء القرن الإسماعيلى فى تاريخ الإسلام (مترجم عن الفرنسية مع تعليقات ودراسة)
* المستشرقون والقرآن
* ماذا بعد إعلان سلمان رشدى توبته ؟ دراسة فنية وموضوعية للآيات الشيطانية
* الترجمة من الإنجليزية – منهج جديد
* عنترة بن شداد – قضايا إنسانية وفنية
* النابغة الجعدى وشعره
* من ذخائر المكتبة العربية
* السجع فى القرآن (مترجم عن الإنجليزية مع تعليقات ودراسة)
* جمال الدين الأفغانى – مراسلات ووثائق لم تنشر من قبل (مترجم عن الفرنسية)
* فصول من النقد القصصى
* سورة طه – دراسة لغوية أسلوبية مقارنة
* أصول الشعر العربى (مترجم عن الإنجليزية مع تعليقات ودراسة)
* افتراءات الكاتبة البنجلاديشية تسليمة نسرين على الإسلام والمسلمين – دراسة نقدية لرواية «العار »
* مصدر القرآن – دراسة لشبهات المستشرقين و المبشرين حول الوحى المحمدى
* نقد القصة فى مصر من بداياته حتى ١٩٨٠م
* محمد حسين هيكل أديبا و ناقدا ومفكرا إسلاميا
* سورة النورين التى يزعم فريق من الشيعة أنها من القرآن الكريم – دراسة تحليلية أسلوبية
* ثورة الإسلام – أستاذ جامعى يزعم أن محمدا لم يكن إلا تاجرا (ترجمة و تفنيد)
* مع الجاحظ فى رسالة « الرد على النصارى »
* محمد لطفى جمعة – قراءة فى فكره الإسلامى
* إبطال القنبلة النووية الملقاة على السيرة النبوية – خطاب مفتوح إلى الدكتور محمود على مراد فى الدفاع عن سيرة ابن إسحاق
* سورة يوسف – دراسة أسلوبية فنية مقارنة
* المرايا المشوهة – دراسة حول الشعر العربى فى ضوء الاتجاهات النقدية الجديدة
* القصاص محمود طاهر لاشين – حياته وفنه
* فى الشعر الجاهلى – تحليل وتذوق
* فى الشعر الإسلامى والأموى – تحليل وتذوق
* فى الشعر العربى الحديث – تحليل وتذوق
* موقف القرآن الكريم والكتاب المقدس من العلم
* أدباء سعوديون
* دراسات فى المسرح
* دراسات دينية مترجمة عن الإنجليزية
* د. محمد مندور بين أوهام الادعاء العريضة وحقائق الواقع الصلبة
* دائرة المعارف الإسلامية الاستشراقية – أضاليل وأباطيل

د. محمد مندور

بين أوهام الادعاء العريضة وحقائق الواقع الصلبة

(ثلاث قضايا ساخنة)

بسم الله الرحمن الرحيم

د. إبراهيم عوض

د. محمد مندور
بين أوهام الادعاء العريضة وحقائق الواقع الصلبة

(ثلاث قضايا ساخنة)

١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

مكتبة زهراء الشرق

١١٦ محمد فريد - القاهرة

رقم الإيداع ١٣٢٠٩ / ٩٩
الترقيم الدولى I.S.B.N.
977-314-035-0

المقــدمــة

بدأت معرفتي بكتابات د. محمد مندور النقدية أثناء مرحلة دراستي الجامعية ، وقد أعجبني فيها الدفءُ والوضوحُ وبساطةُ العبارة والبعدُ عن التحذلق والاهتمامُ بضرب الأمثلة لتقريب الفكرة وشرح جوانبها المختلفة . لكن لفت نظرى فى ذات الوقت أن صاحبها لا يشير إلى أى مصدر أو مرجع استفاد منه ، اللهم إلا فى كتاب « النقد المنهجي عند العرب » ، والسبب فى ذلك أنه كان فى الأصل رسالته التى حاز بها درجة الدكتورية . وكانت هذه الملاحظة وراء سؤال لم يعتّم أن انبثق فى نفسى ، وهو : ما دور د. مندور فى هذه الكتب التى تُنسَب إليه ؟ وكان الجواب الذى افترضته هو أنه يلخّص ما يقرؤه فى المراجع الفرنسية تلخيصًا سهلاً جذابا يلم أطراف الموضوع بمهارة ويضعه بين يدى القارئ غنيمــة باردة . ثم ظهر فى تلك الفترة فــى سلسلة « كتاب الهلال » كتاب « عشرة أدباء يتحدثون » للأستاذ فؤاد دوارة ، وفيه حوار مع طائفة من الكتاب المصريين منهم د. مندور . وقد انبهرتُ بما جاء فيه عما حققه مندور فى بعثته إلى السربون التى بدت لى آنذاك ، رغم عدم حصوله على الدكتوراه ، نصرا مبينا . ثم كبرتُ واطّلعت على ذلك الأمر برُمّته فتبين لى أن المسألة لم تكن إلا دعاية زائفة أُجيد حبكها ، فقد كانت تلك البعثة فشلاً ذريعًا ، لكن الرجل وحوارييه استطاعوا أن يصوروا هذا الفشل بحيث يبدو وكأن صاحبه قد فتح عكًا وأتى بما لم يأت به الأوائل والأواخر . وهذا هو موضوع

الفصل الأول من الكتاب الذى بين يدى القارئ الكريم .

ثم أثيرت فى السنوات الأخيرة قضية اتهام مندور بسرقة كتابه « نماذج بشرية » ، وهو كتاب يعدّه هو وأنصاره إبداعًا لا نظير له ، فعكفتُ على المسألة أدرسها وأمحّصها ، وإذا بها تنجلى عن حقيقة شديدة المرارة ، وهى أنه قد سرقه فعلا من الكاتب الفرنسى المعروف چان كالڤيه . كذلك اكتشفتُ أنه قد سطا أيضًا على كتاب د. نعمات أحمد فؤاد عن المازنى كما قالت هى تلميحا فى مقدمة الطبعة الثانية من ذلك الكتاب . ويجد القارئ معالجة مفصلة لهاتين القضيتين فى الفصل الثانى من كتابنا هذا .

وكنت قد قرأت « مدام بوفارى » فى نصها الفرنسى ، وبدا لى وأنا أقرؤها أن أقارن بينها وبين ترجمة د. مندور لها فهالنى كثرة أخطائه وشناعتها وتنوعها ما بين أخطاءٍ لغوية وأخطاءٍ فى الترجمة ، فوضعتُ دراسة بهذا الذى عثرتُ عليه يجدها القارئ فى الفصل الثالث من الكتاب .

هذا ، وإنى لأرجو ألا أكون ظلمتُ الرجل ، فقد استمتعت بكتاباته زمنا رغم كل شىء . ولقد حرصت فى دراستى هذه على التنقير والتمحيص والتوثيق ، والأمر بَعْدُ متروك للقراء وحُكْمهم. هدانا الله جميعاً إلى سواء السبيل !

بعثة مندور بين الحقيقة والأوهام

تمثّل بعثة مندور إلى فرنسا للحصول على درجة الدكتورية حالة غريبة تحتاج إلى الدراسة والتفسير : فقد كان فى المرحلة الجامعية طالبا متفوقا بلغ من تفوقه أنه استطاع أن يَدْرُس فى كُلّيّتى الحقوق والآداب فى نفس الوقت بل وأن تكون دراسته فى هذه الأخيرة فى قسمين مختلفين وليس فى قسم واحد ، إذ كان يدرس الأدب العربى وعلم الاجتماع معًا ، وإن لم يحصل منها إلا على ليسانس اللغة العربية وآدابها نظراً إلى انقطاعه عن متابعة دراسته فى قسم الاجتماع فى السنة الرابعة بعد أن لم يعد بينه وبين الحصول على ليسانس هذا القسم إلا « فركة كعب » كما يقولون [١] . وكان مستقبله واعداً بالإشراق الزاهر ، وبخاصة بعد أنه رشّحته الجامعة بمساعدة أستاذه الدكتور طه حسين لبعثة إلى فرنسا للدراسة فى السربون من أجل الحصول على الدكتورية فى الآداب فى سنة ١٩٣٠م . لكنه ما إن بدأ دراسته فى فرنسا حتى فوجئنا بنتائج امتحانات تختلف تماماً عما كان يحصل عليه من درجات فى مصر ، وكان مصيره الإخفاق المتكرّر فى معظم الامتحانات التى خاضها ، واضطربت الأمور بينه وبين إدارة البعثة فى

(١) ومن ثم فلا صحة لما قاله فؤاد دوارة عن حصول مندور على الليسانس فى هذه التخصصات الثلاثة جميعا (انظر كتابه « محمد مندور » / الهيئة المصرية العامة للكتاب / سلسلة « نقاد الأدب » (العدد ١٧) / ١٩٩٦م / ١١٥) .

باريس ، التى اتهمته بإغفال واجباته العلمية والخروج على النظام والسفر خارج فرنسا دون تصريح منها بذلك . وكان مندور دائم الفزع أثناء هذا كله إلى الدكتور طه ليتوسط له عند المسؤولين فى مصر وفى إدارة البعثة المصرية فى باريس للحؤول بينه وبين الفصل . وفى النهاية عاد مندور إلى مصر فى سنة ١٩٣٩م ، أى بعد أن قضى فى البعثة تسع سنوات كاملات ، دون أن يحرز درجة الدكتوراه[١] ، وكل ما حصل عليه هو شهادة الليسانس فى بعض المواد اللغوية والأدبية ، وهى لا تمثل إلا الشق الأول من البعثة المذكورة .

ومع هذا جميعه فإنه فى الحوار الذى أجراه معه فؤاد دوارة فى الستينات (ونشره أولا فى مجلة « المجلة » ثم جمعه مع أشباهه من حوارات فى كتابه « عشرة أدباء يتحدثون ») يتكلم عن بعثته السوربونية بأسلوب يوحى بأنها مبعث فخار لما أحرزه فيها من شهادات وما فتح من فتوح دراسية لم تتيسر لغيره ، حتى إننى ، وأنا طالب بالجامعة ، كنت أقرأ ذلك الحوار فى حالة انبهار كامل ، وبخاصة كلامه عن تحول عقله من التفكير باللغة العربية إلى التفكير باللغة

(١) يدّعى أمين بكير أن مندور قد حصل من كلية حقوق باريس على الدكتوراه فى الاقتصاد السياسى والتشريع المالى (انظر كتابه « قضايا الفن والإنسان فى حياة محمد مندور » / مكتبة الأسرة / سلسلة « كتاب الشباب » / ١٩٩٨م / ١٠) . ولا أدرى من أين أتى بهذا الادعاء العجيب الذى تحول فيه الدبلوم إلى دكتوراه . وسوف يأتى ذكر هذا الدبلوم بعد قليل .

الفرنسية ، التى تتميز (كما يقول) بالدقة والتحديد الصارم ، وكذلك حديثه عن الشهادات التى ذكر أنه قد حصل عليها ثم اتضح بعد ذلك أنها فى أغلبها شهادات خاصة بمواد مفردة لا بمجموعة من المواد كما نفهم نحن الشهادات هنا فى مصر .

وسيكون سبيلى فى هذا الفصل هو التعرف إلى ما قاله د. مندور فى حواره مع الأستاذ دوارة ثم المقارنة بينه وبين ما جاء فى رسائله إلى الدكتور طه حسين فى أثناء فترة البعثة ، تلك الرسائل التى نشر نبيل فرج عدداً منها كبيرا فى مجلة « القاهرة » بدءاً من ديسمبر ١٩٩٣م ثم عاد فضمّها إلى مثيلات لها من عميد الأدب العربى أو له وأصدرها فى كتاب بعنوان « طه حسين ومعاصروه » . وقد احتلت خطابات مندور إلى طه حسين ، بما فيها خطاباته أثناء مرحلة الليسانس ، حوالى نصف مساحة الكتاب وحدها ، على حين شغلت الخطابات الأخرى كلها النصف الثانى من الكتاب . وتتسم رسائل مندور أثناء فترة البعثة بأنها مفعمة بالحرارة التى تشتد درجاتها حتى لتصبح لهيبا محرقا فى كثير من الأحيان ، كما أن فيها قدرا كبيرا من القلق والسخط والتذمُّر الذى يبلغ فى بعض الظروف درجة التلويح بالانتحار . وسوف أستعين فى خلال هذا بما كتبه مندور فى بعض كتبه الأخرى وما كتبه عنه أصدقاؤه وحواريّوه .

يقول الدكتور مندور فى الحوار السالف الذكر إن الهدف من بعثته كان الحصول على ليسانس من السربون فى الآداب واللغات اليونانية القديمة واللاتينية والفرنسية وفقهها المقارن مع حضور محاضرات المستشرقين وتحضير دكتوراه فى الأدب العربى مع أحدهم ، وإنه قد نفذ الجزء الأول فى تسع سنوات من ١٩٣٠م إلى ١٩٣٩م ، ولكنه لم يقدم الدكتوراه لتجمُّع نُذُر الحرب العالمية الثانية فى الأفق آنذاك ، إذ فضّل (كما يقول) العودة إلى مصر حيث كتبها وقدّمها فى الجامعة المصرية ، وإن كان قد حصل من السوربون أيضا على دبلوم فى القانون والاقتصاد السياسى والتشريع المالى[١] .

أما عن باريس فيقول إنها مدينة بالغة الخطورة ، إذ فيها الجدّ الصارم والمغريات المهلكة جميعا ، وإنه قد أخذ من كلا الأمرين بنصيب. كما أكّد أهمية المغريات الباريسية فى حياته وشخصيته العقلية والعاطفية بسبب تمكينها إياه من الاختلاط بدَهْماء الفن والأدب فى مونبرناس والحى اللاتينى والكباريهات حيث تلقائية الأحاديث والتبسط الصادق فى الاعترافات الذاتية فى ساعات الحظ . وكثيرا ما كانت نقوده تنّفَد قبل حلول آخر الشهر كما ذكر لنا ، وعندئذ كان يكتفى بأكلة شعبية من أحد المسامط أو ببعض القهوة والخبز[٢] .

---

(١) فؤاد دوارة / عشرة أدباء يتحدثون / كتاب الهلال (العدد ١٧٢) / يونيه ١٩٦٥م / ١٧٨ ـ ١٧٩ .
(٢) المرجع السابق / ١٧٩ ـ ١٨٠ .

ويخبرنا مندور أيضا أنه كان حريصًا كل الحرص على عدم الاختلاط هناك بأمثاله من المصريين حتى يكون حديثه كله طوال الوقت بالفرنسية ما أمكن ، وهو ما كانت ثمرته أن تحوّل (كما يقص علينا) من التفكير باللغة العربية إلى التفكير بالفرنسية ، التى تعلم منها الدقة والتحديد وصرامة التعبير[1]. ومع هذا فإن نعمان عاشور ، وكان من تلامذة مندور المحبين له والمتعلقين به أشد التعلق ، يقول واصفا نطق أستاذه للفرنسية والإنجليزية : « كنت دائما وفى هذه السنوات الباكرة التى عرفته فيها (يقصد أيام كان يدرّس لهم ، فى قسم اللغة الإنجليزية بكلية الآداب ، مادة الترجمة من الإنجليزية فى بداية الأربعينات) أستغرب أن يكون قد عاش فى لندن وباريس وهو على ما هو عليه : ريفى كأنه لم يخرج من القرية التى وُلد فيها بالشرقية ، وكنت أستغرب حين أسمعه يتحدث بالإنجليزية أو الفرنسية لأنه كان ينطقها بلهجة فلاح أصيل ، وكأنه تعلمها فى كُتّاب القرية ولم يدرسها فى أكسفورد أو السربون »[2]. وأرْجَحُ الحسبان أن الدكتور مندور كان يغالى فى الحديث عن نفسه وإنجازاته فى هذه البعثة ، وإلا

---

(١) السابق / ١٨٠ .

(٢) نعمان عاشور / مع الرواد / مكتبة الأسرة / ١٩٩٦م / ٦٤ . على أن إشارة المؤلف إلى دراسة مندور للإنجليزية فى أكسفورد غير صحيحة ، فهو لم يذهب إلى تلك الجامعة قط . وقد كرّر نعمان عاشور الكلام =

فكيف يكون هذا مستواه فى مجرد النطق بالفرنسية رغم حرصه المطلق على الانغمار فى المجتمع الفرنسى والابتعاد بكل قواه عن الخلطة بزملائه المصريين رغبةً فى إتقان الفرنسية تفكيرا ونطقا كما يقول ؟

ومن بين ما يذكره مندور فى حواره مع فؤاد دوارة سفره إلى أثينا بعد فراغه من دراسة اليونانية القديمة ، ذلك السفر الذى أثار زوبعة بينه وبين مدير البعثة التعليمية المصرية فى باريس ، الأستاذ الديوانى . ومندور ، فى هذا الحديث ، يقرّ بأن مدير البعثة قد اعترض على هذه الرحلة ، إلا أنه لم يعبأ بذلك الاعتراض ومضى فى خطته قُدُما فسافر إلى بلاد اليونان . وهو يؤكد أن هذه الرحلة قد ثبّتت فى ذهنه كل ما كان يعرفه من التراث اليونانى ، وذلك من خلال زياراته لجزر بحر إيجه وبقايا بعض المعابد ، وأنها لم تكن نزوة سياحية كما ظنّ مدير البعثة ، الذى فوجئ مندور ، بعد عودته إلى باريس ، بأنه قد أوقف مرتبه وكتب إلى الجامعة طالبا فصله من البعثة ، وأنه لولا تدخل مكرم عبيد،

= عن ريفية مندور التى تتنافى تماماً مع قضائه تسع سنوات كاملة فى باريس ولندن ، كما يقول ، فى مقاله « ذكريات عن مندور » (مجلة « أدب ونقد » (العدد ١٢) / إبريل ومايو ١٩٨٥م / ٨٩) . وبالمثل تحدث رجاء النقاش عن غلبة الطبيعة الريفية على شخصية مندور ، وإن لم يتعرض لطريقة نطقة للغة الفرنسيس (انظر كتابه « أدباء معاصرون » / كتاب الهلال (العدد ٢٤١) / فبراير ١٩٧١م/ ١٠٧).

الذى تصادف مروره بباريس فى ذلك الوقت ، لما استطاع إعادة صرف المرتب . كما أن مدير الجامعة (أحمد لطفى السيد) لم يوافق على فصله ، وذلك بفضل الدكتور طه ، الذى كان دائم العطف عليه والوقوف إلى جواره فى كل محنة مرت به هناك[١] .

ويضيف مندور أنه بعد هذا قد عَدَل عن دراسة النحو المقارن للّغات القديمة مفضلا دراسة أصوات اللغة دراسة معملية فى معهد باريس الخاص بذلك ، حيث كتب بحثا بالفرنسية عن موسيقى الشعر العربى وأوزانه بوساطة آلة الكيموجراف التى تسجل الأصوات الحساسة وذبذباتها[٢] .

وبعد عودة الدكتور مندور إلى مصر كانت تنتظره بعض المتاعب فى عمله بكلية الآداب ، التى لم يرحب أى من أقسامها المختلفة به بين أعضاء هيئة تدريسه ، إلى أن استطاع د. أحمد أمين أن يدبّر له عددا من الساعات يدرّس فيها الترجمة من الإنجليزية إلى العربية ، ثم دبّر له د. طه حسين فى السنة التالية بضع ساعات أخرى للترجمة من الفرنسية إلى العربية . كما درّس فى المعهد العالى للصحافة مادتى الترجمة من الفرنسية واللغة الفرنسية وآدابها . وفى عام ١٩٤٢م عُيّن

---

(١) فؤاد دوارة / عشرة أدباء يتحدثون / ١٨٣ ـ ١٨٦ .

(٢) المرجع السابق / ١٨٦ .

في جامعة الإسكندرية الوليدة دون دكتوراه . وفي تلك الأثناء سجل مع د. أحمد أمين رسالته في النقد العربي القديم التي ظهرت بعد ذلك في كتاب بعنوان « النقد المنهجي عند العرب » والتي رفض طه حسين الاشتراك في مناقشتها سنة ١٩٤٣م سخطا منه على صاحبها للواذه بأحمد أمين بدلا منه . كذلك رفض الدكتور طه ، فيما يخبرنا مندور أيضا ، أن يرقّيه بعد حصوله على الدكتوراه إلى درجة مدرس « أ » من الدرجة الرابعة رفضا حادّا دفعه إلى الاستقالة من الجامعة والعمل بصحيفة « المصرى » لصاحبها محمود أبو الفتح [(١)] .

هذا ما جاء في الحوار الذى دار بينه وبين الأستاذ فؤاد دوارة ، فماذا تقول الخطابات التي كان يرسلها إلى الدكتور طه حسين ؟

أول ما جاء في تلك الخطابات مما يتعلق بموضوعنا هو قول مندور ، في خطاب له بتاريخ أول إبريل ١٩٣١م ، إنه أرسل إلى مجلة الجامعة بحثا له كان قد قدمه لأحد أساتذته بالسربون ونال عليه درجة أرقى من درجة زملائه الفرنسيين بعد أن وسّعه وأضاف إليه بعض التوضيحات[(٢)] . ولكن للأسف لم ينبئنا مندور بشيء عن موضوع

---

(١) السابق / ١٨٧ ـ ١٩٢ .

(٢) انظر نبيل فرج / طه حسين ومعاصروه / كتاب الهلال (العدد ٢٥١) / مايو ١٩٩٤م / ٩٨ ـ ٩٩ .

هذا البحث ، كما أنى لا أذكر أنه عرض له فى أى من كتبه الأخرى التى قرأتها له . وأغلب الظن أنه لا علاقة لهذا البحث بالأدب العربى ، لأنه كان لا يزال آنئذ فى مرحلة الليسانس يَدْرُس الأدب الفرنسى واللغات القديمة . وأغلب الظن أيضًا أن هذا البحث كان فى الأدب الفرنسى ، إذ لا أظنه كان قادراً على كتابة بحث فى ذلك الوقت المبكر عن اليونانية أو اللاتينية ، فقد كان لا يزال ينقل فيهما خطواته الأولى . كذلك لا أظن إلا أن هذا البحث كـان بالفرنسيـة ، وهـو ما يعنى أن مقدرته على التعبير بهذه اللغة كانت كبيرة مادام يقول إنه حصل به على درجة لم يحرزها أى من الطلبة الفرنسيين . لكن هذا يثير سؤالا فى غاية الأهمية ، ألا وهو : إذا كانت فرنسية مندور فى أول سنة له بفرنسا قد بلغت هذه الدرجة ، فكيف نعلّل فشله المتكرر فى معظم الامتحانات التى دخلها هناك ، وهى كلها بتلك اللغة ؟ هذا أمر محيِّر ! ترى أكان مندور يبالغ فى الثناء على لغته وبحثه ؟ إن ذلك غير مستبعد كما سوف نرى من خلال المقارنة بين ما ذكره عن بعض الأمور فى رسائله إلى الدكتور طه وما أدلى به للأستـاذ دوارة فى الحوار الذى أجراه معه .

وفى هذا الخطاب أيضا يشير مندور إلى أنه بسبيل الاستعداد لامتحان يونيه التالى الخاص بالأدب الفرنسى وامتحان نوفمبر الخاص

باللاتينية[١] . فماذا كانت نتيجة هذين الامتحانين ؟ فأما أولهما فقد أخفق مندور فيه ، وهذا مذكور فى خطابه المؤرخ فى ٣ سبتمبر ١٩٣١م ، الذى يتحدث فيه عن « صدمة الامتحان » وأثرها المؤلم العنيف فى نفسه ، والذى يحاول فيه أيضًا أن يدفع عن نفسه شبهة عدم الرغبة فى مقابلة الدكتور طه عند وصوله إلى فرنسا ، إذ يبدو أن الدكتور طه قد قرّعه على ذلك على طريقته فى لحن القول[٢] . وأما الامتحان الثانى فلا ذكر له فى الخطابات التى بين أيدينا والتى تتخللها فجوة كبيرة تفصل بين الخطاب السابق والخطاب الذى تلاه ، وهو بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩٣٥م .

وفى هذا الخطاب الأخير يخبر مندور أستاذه بأنه يستعد للمرة الثانية لامتحان الدراسات اليونانية ، التى يقول إن إخوانه يشكون من صعوبتها ، ولكنه ، على العكس منهم ، يعتقد كل الاعتقاد أن النجاح فيها ليس عسيرا بشرط أن يقصر الطالب جهوده على ما جاء فى المقرر لا يعدوه . ثم يضيف قائلا إنه لا يستطيع للأسف أن ينهج نهج الطلبة الفرنسيين الذين لا يعرفون شيئا خارج حدود الكتب الجامعية ، فهو يعانى من العجز المطلق عن الوقوف عند الجزء دون

---

(١) المرجع السابق / ٩٩ .

(٢) السابق / ١٠١ _ ١٠٣ .

الإلمام بالكل ، ومن ثم فهو يقرأ كل ما تصل إليه يده من الكتب عن الأدب اليونانى فى الوقت الذى لا يطالع فيه من النصوص اليونانية نفسها إلا القليل . وفى الخطاب أيضا حديث عن اجتيازه لشهادة الأدب الفرنسىّ ولغته واطلاعه الواسع على ما كُتِب فى ذلك الأدب وفى حضارة الفرنسيين . ثم ينتقل إلى الكلام على اللغة اللاتينية ، التى يقول إنه قد وصل فيها إلى درجة لا بأس بها ، ويتساءل : هل من الممكن أن يكتفى بشهادة "les antiquités Latines" بدلا من "les études Latines" ؟ وواضح من كلامه أن الأولى أسهل ، وإن ذكر أن الثانية أنفع له . ثم يعقّب قائلا إنه لم يبق بعد ذلك إلا اجتياز الامتحان ، وهو (فى نظره ونظر الدكتور طه كما يقول) « مسألة ثانوية » . ومما جاء فى هذا الخطاب أيضًا قوله إنه قرأ كل ما كتبه الإغريق وإنه عازم على أن يقضى العام القادم فى قراءة ما كتبه الرومان أيضا بنفس الطريقة التى جرى عليها فى تثقيف نفسه فى الأدب الإغريقى ، أى طريق قراءة الكتب الفرنسية عن أدب الرومان والاجتزاء بقراءة بعض النصوص المكتوبة باللاتينية نفسها [١] .

ولى تعليق صغير على قوله إنه قرأ كل ما كتبه الإغريق ، إذ إن فى هذا القول مبالغة جدّ هائلة ، إلا إذا كان قصده أنه قرأ كل ما

(١) السابق / ١٠٤ ـ ١٠٧ .

وقعت عليه يده مما تُرجِم من تراثهم الأدبى أو الفكرى مثلا إلى اللغة الفرنسية . أما أن يكون قد قرأ كل هذا التراث فعلا كتابًا كتابًا كما تقول عبارته بمنتهى الوضوح ، فهذا لا أدرى كيف يكون ، وإلا كان تراث الإغريق من الهُزال بمكان .

وهو يكرر القول بأنه ، بعد كل هذا التأخير ، قد حصل على شهادة فى الأدب الفرنسى ومثلها فى فقه اللغة الفرنسية ، وأنه بعد يومين سيتقدم لامتحان الدراسات اليونانية ، وإن لم يوفَّق فسوف يتقدم للامتِحان فى العام القادم للحصول على بعض الشهادات البديلة السهلة. وهذه هى عبارته التى يشير فيها إلى نجاحه فى امتحان الأدب الفرنسى واللغة الفرنسية : « حصلت إلى الآن ، مع الأسف الشديد لتأخرى من الناحية المدرسية ولا أقول : من الناحية العلمية ، على شهادتين : ١ـ الأدب الفرنسى ، ٢ـ فقه اللغة الفرنسية » [١] .

ومن الواضح أنه لم ينجح فى امتحان الشهادة الخاصة بالأدب الفرنسى ولغته إلا بعد مرور أربعة أعوام ، ومع هذا فإنه يقول لفؤاد دوارة إنه قد نجح « بما يشبه المعجزة فى ليسانس الأدب الفرنسى التحريرى بعد عام واحد » [٢] . ولست فى الحقيقة أدرى كيف يكون

---

(١) السابق / ١٠٨ . ١٠٩ .

(٢) عشرة أدباء يتحدثون / ١٨٥ .

ذلك ، وهذه خطاباته لأستاذه طه حسين تقول إنه فشل فى أول امتحان له بعد مرور عام من التحاقه بالسربون ، وإنه لم يجتز ذلك الامتحان إلا بعد انصرام أربعة أعوام ؟ ومع هذا لا يكتفى فؤاد قنديل بالقول بأن منـدور نجح بعـد سنـة واحدة فى امتحان الأدب الفرنسى (التحريرى) بل يزيـد فيقـول إنه أصبح « يجيد الفرنسية تماما »[١]. هو حكم حماسىّ ، فإن مندور فى خطاباته إلى الدكتور طه يقع فى أخطاء فاحشة كثيرة فى لغته الأم ، فكيف يقال هكذا بمنتهى البساطة إنه أصبح يجيد الفرنسية تماما ، وهى اللغة الغريبة عنه ؟ وإلى جـانب هـذا فإن ترجمته لرواية فلوبير « مدام بوڤارى » ، كما سيتضح من الفصـل الخاص بها فى هـذه الدراسة ، تبيّن بأجلى بيان أنه لم يكن « يجيد الفرنسية تماما » .

وفى آخر الخطاب المذكور يتحدث مندور عن سفره إلى اليونان وتعريجه هو وزميله الفرنسى الذى كان يصحبه فى تلك الرحلة على مصر لمدة ستة أيام ، ذاكرا أنه بعد عودته قد أخبر بذلك الديوانى بك، الذى أفهمه أن المسألة ليست هينة كما يظن ، ثم يطلب من الدكتور طه حسين أن يتدارك الأمر إذا دعت الحاجة إلى تدخله [٢].

---

(١) انظر كتابه « محمد مندور شيخ النقاد » / دار الغد العربى / ٣٥ .
(٢) نبيل فرج / طه حسين ومعاصروه / ١١٥ .

وقد وصلته من أستاذه طه حسين بتاريخ ١٢ أغسطس ١٩٣٦م، بسبب سفرٍ مشابهٍ إلى إيطاليا ، رسالة تقريعية يتهمه فيها بالتقصير والتفريط وعدم الصراحة والاتساع فى الحيلة ، ويُبدى شكه فى أن يكون قد بذل فى دراسته الجهد المطلوب ، وإن أحسن الظن فى ذات الوقت بملكاته الطبيعية . وقد أفزعت مندور هذه الرسالة فرد عليها محاولا أن يزيل ما بنفس أستاذه تجاهه مؤكدا أنه يستفرغ كل مجهوداته فى خدمة الوطن وفى بناء مستقبله وأنه لا يعمل على إطالة بقائه فى أوربا طلبًا للَّهو أو رغد الحياة .

وفى ردّه يؤكد مندور أيضا أنه لا يفهم كيف أن السفر خارج فرنسا أثناء البعثة يُعَدّ خروجا على القانون ، وأنه على كل حال قد أخبر مدير البعثة بعزمه على السفر قبل القيام به وأوضح له أن غايته منه هى غاية علمية لا ترفيهية . ثم ذكر أن سرّ ضيق الأستاذ الديوانى به راجع فى الحقيقة إلى إخفاقه فى الامتحان ، وأضاف أن نهب الامتحان نهبا ، كما هو مطلوب منه ، هو أمر فوق طاقة البشر .

ولا يمر اثنا عشر يومًا إلا ونجده يكتب رسالة أخرى إلى الدكتور طه يخبره فيها بأنه قد تسلم خطابا من أهله يتضمن نبأ فصله من البعثة وتألّم والده بسبب ذلك بل وتنكّره له « بعد أن اطلع على قرار حضرة

مدير البعثة بأنى لا أواظب على عملى ولم أمرّ امتحاناتى [١] وأن لى موارد رزق خفية وأنى فى غير حاجة للبعثة وأنى أتنقل فى بلاد لا يعلمها » . ثم يستعطف أستاذه بأن يهبّ لنجدته وإنقاذ مستقبله وحياته متعللا بأن دراسته حملها ثقيل ، ومعبّرا عن حزنه الشديد لأنه بعد مضىّ ستة أعوام من حياته فى فرنسا ودنوّ الوقت الذى يستطيع جنْى ثمرة تعبه فيه يجد نفسه وقد حيل بينه وبين ذلك وتحطمت آماله . وفى نهاية الرسالة يلمح لأستاذه بأنه عازم ، لا على ترك مكانه فى البعثة فقط لمن هو أحق منه بملئه ، بل على ترك مكانه فى الحياة أيضا . يقول هذا وهو يبكى أشد البكاء كما ذكر فى آخر سطور الرسالة [٢] .

أما الخطاب التالى لهذا ، وهو محرّر بعده بخمسة أيام ليس إلا ، فقد اختفى منه تلويح مندور بالانتحار وحل محلّه كلام عن بدء عودة الهدوء إلى نفسه وانصرافه التام إلى الدراسة . وفيه أيضاً إشارة إلى أنه قد

(١) يقصد « لم أنجح فى الامتحان »، وهى ترجمة حرفية للعبارة الفرنسية: " passer les examens " . وقد درج الكتّاب على أن يترجموا هذا التعبير بقولهم : « اجتاز الامتحان بنجاح » ، أما « لم أمرّ امتحاناتى » فهى ، رغم صحتها ، لا تخلو من غرابة ، ولا أقول : ركاكة . وقد كرّرها مندور كثيرا فى رسائله إلى الدكتور طه .

(٢) نبيل فرج / طه حسين ومعاصروه / ١٢٠ _ ١٢٢ .

وصله خطاب من ابن عمه يدعوه فيه إلى نسيان الماضى وطىّ صفحته التى يقول له إنه لا يريد النبش فيها لأن كليهما يعلم ما تحتويه . وقد أثار هذا التلميح مندور إثارة شديدة جعلته يكاد يُجَنّ جنونا على حد تعبيره . ورغم أننا لا ندرى ، من حديث مندور عن هذا الخطاب ، طبيعة التلميح الذى يتضمنه ، فإن فى تعقيبه عليه ما يفيد أن الأمر يتصل بعلاقاته مع النساء ، إذ نسمعه يدافع عن عفته وطهارة نفسه ويؤكد أنه لم يعرف إلا فتاتين زميلتين له : إحداهما ألمانية كانت تريد الزواج منه ولكنه لم يوافق ، والثانية فرنسية كان يرغب فى الاقتران بها لكن أهلها رفضوا أن يزوجوها بشابّ غريب عن بلادها ويدين بدين غير دينها ، ومع ذلك فعندما كتبوا إلى أبيه ليوسطوه فى ثنْيه عن عزمه أثنوا على طهارة سلوكه . كما أكد لأستاذه أيضا أنه لا يعرف الخمر ولا القِمار بل ينفر منهما نفورا طبيعيا ، فضلا عن أنه شاب جادّ طموح كثير الهموم دائم العبوس ، فلا محل فى نفسه لهذه الصغائر كما يقول . وزاد على ذلك أنه بطبيعته مدَّخِر ، ومن ثم فهو لا يشكو من أية مشكلة فيما يتعلّق بأمور المال والمرتب حتى إن الأستاذ الديوانى يظن أنه غنىّ لا حاجة به إلى البعثة (١) .

هذا ما قاله مندور لأستاذه الدكتور طه حسين فى خطابه السالف

(١) المرجع السابق / ١٠٠ ـ ١٢٥

الذكر ، فماذا عما جاء فى حواره مع فؤاد دوارة ؟ لقد ذكر أنه قام بهذه الرحلة سنة ١٩٣٦م بعد أن فرغ من دراسة اليونانية القديمة وآدابها(١) ، وهو ما يُفْهَم منه أنه قد نجح فى ذلك ، على حين أنه قد ذكر للدكتور طه أن حَنَق مدير البعثة عليه إنما يرجع إلى رسوبه فى الامتحان ، فكيف نوفق بين الأمرين ؟ أضف إلى هذا أن كلامه للدكتور طه عن تلك الرحلة وغضب مدير البعثة عليه بسببها قد ورد (كما رأينا) فى خاتمة خطابه بتاريخ ٤ نوفمبر ١٩٣٥م بعد توقيعه ، بينما يقول هو لفؤاد دوارة إنه قد عمل هذه الرحلة فى ١٩٣٦م ، وهذا ما يحتاج أيضا إلى توفيق !

كذلك فإنه يقول لأستاذه إنه عندما عاد من الرحلة ذهب إلى الأستاذ الديوانى واعتذر له عن عدم استئذانه قبل الذهاب إلى مصر من بلاد اليونان ، وأوضح له أنه لم يكن لديه نية فى أن يعرّج من هناك على أرض الوطن ، بل هى مجرد فكرة خطرت له هو وزميله فجأة وهما فى اليونان . وهو ما يعنى أن المشكلة لم تكن تَرْكَ فرنسا بل مجرد السفر إلى مصر . أما فى حواره مع الأستاذ دوارة فيقول إن مدير البعثة لم يوافق على السفر إلى بلاد اليونان أصلا وإنه رغم ذلك لم يأبه

(١) انظر فؤاد دوارة / عشرة أدباء يتحدثون / ١٨٣ .

بهذا الاعتراض ومضى قدما مع خطته فى الذهاب إلى هناك [١] . ومعنى هذا أنه لم يصارح الدكتور طه بحقيقة الأمر تفصيلا مكتفيًا بتصويره من الزاوية التى لا تدينه .

وبالمناسبة فليس فى حديثه مع الأستاذ دوارة شىء ذو بالٍ عن الآثار التى ذكر أنه شاهدها فى اليونان ، إذ كل ما قاله فى هذا الصدد هو أنه وجد جزيرة تيلوس مغطاة ببقايا المعابد القديمة . ومع هذا فإنه يقفز فى جرأة إلى الادعاء بأنه فى وحدة هذه الجزيرة ووسط أنقاضها قد تشرَّب هو وزميله الروح الهلينية كلها ، وهى روح تمتاز بالصفاء وهدوء القلب وحرارة الفكر وانفعاله ، لأن اليونانى القديم كان يحس بعقله ويدرك بقلبه ، ففى عقله حرارة العاطفة ، وفى قلبه ضوء العقل [٢] . وهذا نص كلامه بالحرف . ولا أظن عاقلا يمكن أن يأخذ هذه الدعوى مأخذ الجدّ ، فليس من المستطاع تشرّب روح حضارة ما من مجرد رؤية بعض الأنقاض التى خلّفتها ، وإلا فليخبرنى أحد كيف يمكن أن توحى أنقاض بعض المعابد الإغريقية بأن الروح الهلينية تمتاز بالصفاء وهدوء القلب وحرارة الفكر وانفعاله ... إلخ ؟

ومما يحتاج إلى توفيق أيضًا أن مندور ، فى حديثه إلى الدكتور طه

(١) نفس المرجع والصفحة .
(٢) المرجع السابق / ، ـ ١٨٤ .

حسين »، يؤكد تأكيدا قويا عفته وطهارة نفسه مبديا ألمه من تلميحات ابن عمه في هذا الصدد ، بينما في حديثه إلى فؤاد دوارة نراه « يذكر مغريات باريس المهلكة » باعتزاز شديد مؤكدا أنه قد أخذ منها بنصيب وأنها قد أفادته كثيرا من الناحية العاطفية والثقافية ، إذ مكنته من الاختلاط بدهماء الفن والأدب في مونبرناس والحى اللاتينى وفى الكباريهات (أو « عُلَب الليل » كما سماها) حيث الأحاديث التلقائية والاعترافات الصادقة في ساعات الحظ ولمس نفوس البشر عن قرب عارية صريحة غير متقنعة ولا متوارية على حد تعبيره [1].

---

(١) السابق / ١٧٩ . وسوف يعود مندور فيعترف تلميحا للدكتور طه في خطاب لاحق أنه قد عرف في باريس « لذة الحواس » إيمانا منه أن «مقاومة الطبيعة إلى غير حدّ أمر قد يضرّ أكثر من أن ينفع » ، وأن ضيق صدره وكثرة حزنه قبل ذلك بغير سبب إنما كان مرجعه إلى ما ألزم نفسه به من عفة مفرطة في مصر (نبيل فرج / طه حسين ومعاصروه/ ١٩١) . وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فإننا نشير هنا إلى ما قاله طبيب بهائي مصرى قابل محمد لطفى جمعة في ليون عندما ذهب للحصول على الدكتورية في القانون من جامعتها ، إذ أخذ يزيّن له الرذيلة بشبهة أنها تقيه من بعض المتاعب الصحية مما جعل جمعة يصفه بـ « البهائى الملعون في الأرض وفى السماء » (انظر كتابى « كاتب من جيل العمالقة ـ د. محمد لطفى جمعة ـ قراءة في فكره الإسلامى » / عالم الكتب / ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م / ٥٢ / هامش ٢. ويمكن الاطلاع على القصة كاملة في كتاب محمد لطفى جمعة / تذكار الصبا ـ ذكرى ١٩ مارس / عالم الكتب / ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م / ٣٦ ـ ٣٧).

وبالمثل نراه فى خطابه إلى طه حسين يشير إلى ادخاره وحسن تدبيره فى أمور المال ، أما مع فؤاد دوارة فيقول إنه كان يجوب أحياء باريس كما كان يفعل جافروش بطل رواية هوجو « البؤساء » (ذلك الصبى البوهيمى المتشرد الذى لا يأبه بشىء) ، وإنه عندما تنفد منه النقود فى أواخر الشهر كان يلجأ إلى بعض المطاعم الشعبية الرخيصة التى تشبه مسامط القاهرة ، بل كان فى كثير من الأحيان يكتفى ببعض الكرواسان مع كوب من القهوة باللبن [١]. وليس فى هذا الأسلوب المعيشى ، كما هو واضح ، ما ينم عن قدرة على الادخار أو ميل إليه أو حتى تفكير فيه .

ويتدخل طه حسين كالعادة لمصلحة مندور ويعاد تقييده فى البعثة من جديد كما جاء فى خطابه إلى أستاذه فى ١٢ سبتمبر ١٩٣٦م. وفى هذا الخطاب نسمعه يَعِدُه بكل قوة وثقة بالنجاح فى الامتحان المقبل مؤكدا أنه لا يقل فى شىء عن زملائه الفرنسيين الذين ينجحون فى امتحاناتهم (أو على حد تعبيره « الذين يمرون مثل تلك الامتحانات ») ، بل يزيد عنهم نضوجًا وقدرة على التحصيل . ثم يضيف قائلاً : « إن السقوط ومعاودة الكرة مرارا ومرارا لا يمكن إلا أن يعود علىّ بالخير ويزيدنى نضوجا وتثبتًا مما أدرس ، وإنه من الأفضل

---

(١) عشرة أدباء يتحدثون / ١٨٠ .

لى ألف مرة أن أمرّ بعد عدة محاولات وأنا ثابت القدم من أن أمرّ بالصدفة والاتفاق » [١] ، وهى حجة عجيبة تفلسف الرسوب فى سفسطة مضحكة ، وإلا فمن الممكن الرد على ذلك بالسؤال التالى : ولماذا ينبغى أن توضع القضية على هذا النحو وكأنه ليس أمام الطالب إلا أن يرسب مرارا قبل أن يتعلم جيدا ، أو أن ينجح من أول مرة مصادفة واتفاقا؟ ترى ألا يمكن اجتماع النجاح مع الدراسة الجيدة والتثبت المخلص ؟ أحسب أن القارئ الآن قد أبصر جيدا المزلق الخطير الذى يريد التلميذ أن يسحب أستاذه إليه !

على أنه لا يمر إلا شهران وأسبوع تقريبا حتى يكتب التلميذ لأستاذه بأنه قد أخفق فى امتحان فقه اللغات . وهو لا يكفيه أن وعوده القوية الواثقة قد تبخرت فى الهواء ، بل يزيد فيؤكد بملء فمه أنه غير آسف على ذلك الإخفاق ، بل هو فى الحقيقة يفضله لأن تحضيره لفقه اللغتين اللاتينيــة والفرنسيــة القديمة لم يكن كما يجب[٢] . وعبثا يحاول الإنسان أن يعرف لماذا كان الأمر كذلك بعد أن وعد مندور الدكتور طه بأنه لن يرى منه بعد ذلك إلا خيرا وأنه سيطيل رقبته بنجاحه الوشيك . ويمضى مندور فيتحجج بقلة المعاجم فى يديه ويطالب الدكتور طه أن يتدخل لدى البعثة لتعطيه أثمان القاموس

(١) نبيل فرج / طه حسين ومعاصروه / ١٣٠ ـ ١٣١ .
(٢) المرجع السابق / ١٣٢ ـ ١٣٣ .

الفلانى والقاموس العلانى والقاموس الترتانى ... إلخ [١]، وكأنه لا توجد مكتبات فى الجامعة يستطيع استخدام ما فيها من معاجم ودوائر معارف ، وكأنه أيضا لم تكفه السنوات الأربع كى يقطع شوطًا فى هذا المقرر يعينه على المضىّ فى دراسته فى يسر . وفى الخطاب أيضا وصف لحالته النفسية المتأرجحة « بين حماسة تقرب من الجنون إلى يأس وألم يتركنى بلا حراك كالمُغْمَى عليه » [٢]. هذا ما يقوله مندور عن نفسه بعد مرور أربع سنوات على بدء بعثته ، ومع ذلك يأنس بعض من يكتبون عنه فى نفوسهم الجرأة للادعاءات الواسعة التى ما أنزل الله بها من سلطان عن مباحثات مندور مع كبار الساسة والأدباء والمستشرقين فى فرنسا فى ذلك الوقت !

ثم يختتم مندور خطابه بأن الوقت قد ضاق به وكذلك قدرة الله عن نجاحه ووفائه بوعده ، إذ ليس فى النتيجة إلا ما يغمّ ، ثم يدعو لنفسه ولأستاذه وأسرته أن تشملهم رحمة الله جميعًا [٣] .

وفى خطابه التالى (وهو بتاريخ ٢٢ نوفمبر ١٩٣٦م ، أى بعد الخطاب السابق بيوم) يعود مندور إلى السفسطة ، يقول إن الامتحانات

(١) السابق / ١٣٤ ـ ١٣٨ .
(٢) السابق / ١٣٨ .
(٣) السابق / ١٣٩ ، ١٤٠ .

لا يمكن أن تكون هى الدليل على كمال الإنسان أو نقصه ، بل الطالب أدرى من الأستاذ الممتحن بمواضع نقصه أو قوته [١] . وهذا قد يكون صحيحا إذا كان للأستاذ موقف ظالم من تلميذه أو كان غير مؤهّل لوظيفته ، لكن لا أظن أنه كانت لمندور أية شكوى من هذه الناحية أو تلك ، وهذه خطاباته إلى الدكتور طه خير شاهد على ما أقول ، فهى خالية تماما من مجرد الإشارة إلى شيء من هذا . وعلى أية حال فهذه درجاته كما جاء فى ذلك الخطاب : اليونانى واللاتينى ٨ من ٢٠ ، والفرنسى ٩ من ٢٠ ، واليونانى ٣ من ٢٠ [٢] .

ورغم ذلك نراه مرة أخرى لا يبالى بالقواعد المنظّمة للبعثات فيسافر إلى خارج فرنسا [٣] ، ولا يكلف نفسه أن يذهب إلى مدير البعثة ليخبره بنتيجة الامتحان ، بل يكتفى بمهاتفته متعللا بأنه مريض لا يستطيع الذهاب إليه ، فما كان من المدير إلا أنْ أخذ يتهكم عليه وعلى تحججه بالمرض قائلا له إنه يحمد الله أن كان الألم فى رأسه لا فى قدمه . ويشعر مندور أنه ينظر إليه على أنه منافق أو نصاب أو ممثل

---

(١) السابق / ١٤٠ .

(٢) السابق / ١٤١ _ ١٤٢ .

(٣) هذه المرة إلى إيطاليا ، وهو يفاخر بأنه قد أضنى نفسه كثيرا فى رحلتيه هاتين متنقلا فى حر الشمس بين الأحجار وفجوات الجبال (ص ١٧٣) .

هزلى . وقد حاول بعد ذلك ، كما ورد فى خطابه ، أن يقابله لكنه رفض أن يراه ، وهو ما يستغربه مندور أشد الاستغراب ، إذ كيف يخاصم مدير البعثة طالبا تحت إشرافه؟ [١] هكذا يتساءل مندور وبراءة الأطفال فى عينيه ، وكأنه لم يفعل شيئا ، وكأن مدير البعثة يتجنى عليه هكذا لوجه الله ! ولم لا ؟ أليس هو على الأقل إنسانا مستنيرا حساسا كريم النفس كما وصف نفسه فى خطابه المؤرخ فى ٢٧ نوفمبر ١٩٣٦م إلى أستاذه طه حسين ؟ [٢] وللمرة التى لا أدرى كم يناشد الدكتور طه أن يتدخل ليخرجه كالعادة من ورطته [٣].

وفى خطابه التالى (وهو بتاريخ ١٤ ديسمبر ١٩٣٦م) يخبر مندور أستاذه بما أنبأه به مدير البعثة من أن قرار فصله قد أتى من مصر وبأن عليه الاستعداد للرجوع إلى الوطن . كما يشكو من أن مكتب البعثات فى باريس لا يريد إعطاءه متأخراته المالية . وكالعادة أيضا يرجو أستاذه أن يتدخل لحل تلك المشكلة [٤]. وفى نهاية الخطاب يتساءل فى سخط : « أيجوز أن ترغمنى الحكومة بهذا الشكل على الرجوع إلى مصر دون إتمام دراستى وأنا شديد الأمل والرغبة والنشاط فى

(١) السابق / ١٤٤ ـ ١٤٧ .

(٢) السابق / ١٥٠ .

(٣) السابق / ١٥١

(٤) السابق / ١٥٦ .

الانتهاء منها ؟ » [١] . وهو كلام تكذّبه الوقائع ويدل على أن مندور كان بارعا فى قلب الحقائق وإلباس الباطل ثوب الحقّ اطمئنانا منه إلى أن بمكنته كسب أستاذه إلى جانبه .

أما رجاء النقاش فإنه يفسّر موقف مندور بأنه برهان على « ما طُبِعَتْ عليه شخصيته من صفاء وإشراق وبعد عن السوداوية القاتمة ، فمهما كانت المشاكل التى تواجهه صلبة وعسيرة فإنه كان يحمل فى نفسه أملا فى الحل وإصرارا وعنادا فى البحث عن هذا الحلّ . فلو تعرّض طالب آخر لمثل هذه المشكلة التى تعرض لها مندور فى باريس لكان من الممكن أن تمتلئ نفسه بالمرارة والتشاؤم واليأس ، ولكن مندور ظل يكافح ويبحث لنفسه عن سبيل للخروج من أزمته حتى وجد ما أراد . كان مندور دائما علــى هــذه الصورة : لا يستسلم ولا يعرف اليأس » [٢] . والواقع أن الأستاذ النقاش ، فى دفاعه عن مندور ، إنما يجرى على نفس الخطة التى كان يتبعها مندور فى تسويغ إخفاقه المتوالى بسبب تصرفاته اللامسؤولة ، إذ بدلا من أن يشعر بالخجل وتأنيب الضمير ويعترف بتقصيره ويعزم عزما صادقا على الرجوع عن خطئه تجده يهاجم مدير البعثة والامتحانات والأساتذة ويتهم العالمين

(١) نفس المرجع والصفحة .

(٢) رجاء النقاش / أدباء معاصرون / ١٠٢ .

جميعـا إلا نفسـه . إنها السياسـة القائلة بأن « الهجوم خير وسيلة للدفاع » . ولو كان كلام الأستاذ رجاء في محله لعمل مندور على أن يقوم بواجبه وينجح في دراسته ، إن لم يكن من أجل شيء فمن أجل بلـده الـذي ينفق عليـه من عـرق الفلاحـين والعمـال (أو « الشغيلة » كما يحب بعض الناس أن يقولوا) ، أما أن يتحجج لمدير البعثة بأنه مريض لا يقوى على الذهاب لمقابلته ليقص عليه نتيجة امتحاناته ثم يفاجيء مكتب البعثات بسفره إلى إيطاليا ومطالبتهم من الفنادق التي كان ينزل بها أثناء السفر بأن يسددوا عنه أجرة المبيت والطعام ، فهذه تصرفات لا تدل أبدا على ما يدعيه رجاء النقاش لمندور بل على أنه لم يكن يشعر بالمسؤولية أو تبكيت الضمير . إن ما يقوله الأستاذ النقاش ما هو إلا تلاعب بالألفاظ بكل أسف !

وعلى هذا فليس الأمر ، كما ادعى د. مندور في حواره مع فؤاد دوارة ، هو أن مدير البعثة قد عاقبه لأنه لم يطع رأيه وسافر ليستزيد من المعرفة [1] ، بل الأمر هو أنه كان يهمل دراسته إهمالا شنيعًا ولا يبدي شيئا ينم عن تألم لفشله في الامتحانات وتضييع أموال الدولة على مجرد البقاء في باريس والعيش فيها بأسلوب جافروش الصبي المتشرد غير المبالي في رواية فكتور هيجو « البؤساء » كما يقول مندور في فخر .

ويلي ذلك خطاب غير مؤرخ يندب فيه مندور حظه ويبكي في

---

(١) فؤاد دوارة / عشـ أدباء يتحدثون / ١٨٤ .

انهيار تام على مستقبله ذاكرا أن مدير البعثة يتهمه بالإهمال وبالسفر إلى جهات لا يعلمها خارجا بذلك على القواعد ، ومؤكدا أنه لم يكن فى رفقه إحدى النساء كما يظن البعض[١] ، وأنه إنما كان فى زيارة لآثار إيطاليا تثبيتا لما تلقاه فى الجامعة من معارف علمية . وهو يتساءل فى حسرة مخاطبا عميد الأدب بقوله : « أيؤمن أستاذى حقيقة بينه وبين نفسه أنى أجرمتُ بزيارتى تلك البلاد[٢] إجراما يستحق تحطيم مستقبلى بهذا الشكل المحزن وتحطيم ثقة أهلى فىّ بهذه القسوة ... ؟ »[٣]. وهو بهذا يتجاهل السبب الحقيقى ، ألا وهو إخفاقه فى الامتحانات رغم تقدُّم النُّذُر بأنه سيُفْصَل إذا استمرت أوضاعه على ما كانت عليه ورغم وعوده المتكررة والمغلَّظة للدكتور طه بأنه سينجح فى الامتحان القادم . ويمضى فيقول إن مدير البعثة يتهمه بأن له موردا آخر غير مرتب البعثة مع أن والده لا يملك إلا سبعة وعشرين فدانا ويعول ثمانية أبناء ، وكل ما استطاع هو أن يقتصده لا يتجاوز ألفا وخمسمائة فرنك أنفقها على تلك الرحلة . ومع ذلك فإنه لا يجد مناصًا من إيراد تهمة المدير له بالتقصير فى الدراسة ، ثم يقارن بين تفوقه فى مصر وتعثره المتكرر فى باريس لامسًا بذلك لبَّ المشكلة

(١) لعل فى هذه التهمة ، إذا صحّت ، بعضًا من التفسير لهذا التطور الغريب الذى أصاب مندور فى فرنسا وحوله من طالب متفوق إلى إنسان يلاحقه الإخناق معظم الوقت .

(٢) يقصد إيطاليا وصقلية .

(٣) نبيل فرج / طه حسين ومعاصروه / ١٧٣ _ ١٧٤ .

والعقدة التى يدور حولها الفصل الحالى من كتابنا [١] . ومن بين ما قاله أنه لو كان أعدَّ رسالة الدكتوراه فى القانون مثلا لكان حظه فى الحياة أفضل من ذلك ، وكذلك نصيبه من الرزق . وهو يؤكد أن مستواه فى اللغات الثلاث التى درسها قد وصل إلى درجة طيبة [٢] ، متناسيا بذلك أنه لو كان هذا الذى يقوله صحيحًا لكان قد نجح ، فإن العبرة بالإنجازات لا بالأقوال ، وإلا فكل إنسان يستطيع أن يدَّعى ما يشاء ، اللهم إلا إذا كان أساتذته يقصدونه بالأذى والظلم ، وهو ما لم يدَّعه مجرد ادعاء فى أى خطاب من خطاباته إلى أستاذه ولا فى أى مقال أو كتاب ألفه . ويتجاهل مندور أيضا كثرة وعوده التى لم تتحقق فَيَعِد أستاذه من جديد بأنه سينجح ، ثم يعطيه عهدًا بأن لهم أن يشنقوه إذا لم يُوَفَّق [٣] .

ويُلْمِح مندور من طرف خفى إلى أن الدكتور طه هو الذى ساقه فى هذا الطريق ، طريق البعثة للحصول على الليسانس والدكتوراه ، وذلك عندما يقول له : « لست أُحمِّلكم أية مسؤولية عن تحطيم حياتى ولا عن خاتمتى المحزنة ، فقد قبلتُ البعثةَ بإرادتى . ومسؤوليتى لا يبررها جهلى بموضوع بعثتى وتقدير هذا الموضوع بالقياس إلى قدرتى بل مقدرة أى بشر غيرى فى حدود الزمن الممنوح لـ . وقد كان علىَّ

(١) المرجع السابق / ١٧٤ وما بعدها .
(٢) السابق / ١٧٩ .
(٣) السابق / ١٨٠

أن أذكر أن أهلى فى حاجة لى وأن أكسب حياتى ، وكنت مسلّحًا بليسانسين » [١] . وهو بهذا يضع يده على ذلك اللغز الغريب وإن لم يَحُلّه ، لغز تفوقه البارز فى أثناء الدراسة الجامعية فى مصر ثم إخفاقه المتلاحق فى باريس رغم كثرة الدعاوى التى يملأ بها خطاباته إلى الدكتور طه وكذلك المزاعم التى يطنطن بها أنصاره وتلاميذه فى مقالاتهم ودراساتهم عنه .

ولا يقنع مندور بهذا بل يهدد تلميحًا بأن فى مستطاعه اللجوء إلى القضاء : « أما يظن أستاذى أنى لو كنتُ فرنسيا أو إنجليزيا ورفعت أمرى إلى القضاء لأنصفنى ؟ بل لو طاوعتنى نفسى بأنها لن تُغْضِب أحداً ممن يعزّ علىّ أن أُغضبهم ورفعتُ أمرى للقضاء فى مصر أأعجز أن أجد قاضيا عادلا يقول الحق وينطق بالعدل ؟ وإلى من أقول كل هذا ؟ أأقوله لمن يعرف فوق ما أعرف أنه لا آلم فى النفس من الشعور بالظلم إلا عدم القدرة من الانتصاف من ذلك الظلم ؟ » [٢] .

وواضح أن الدكتور طه قد خفّ لنجدته كسُنّته معه ، إذ إن مندور فى الخطاب التالى (وهو كسابقه غير مؤرخ) يبدى فرحته ببرقية وصلته من الدكتور طه قائلا إنه لو كان أمامه لانهار على يديه الطاهرتين الكريميتن بالتقبيل اعترافا منه بجميله الذى أنقذه مما كان

(١) نفس المرجع والصفحة .
(٢) السابق / ١٨١ ـ ١٨٢ .

فيه من يأس مهلك . وبعد هذا يَعِدُه من جديد بأن يكون شكره إياه على تلك المنّة التى أسداها له هو أن يحصل فى نوفمبر التالى على شهادتى اللغة اليونانية وفقه اللغات المقارن ويرسلهما إليه فى مصر وأن يحرز فى العام المقبل على أكثر تقدير شهادة اللاتينى والدبلوم ، وإلا فَلْينكِرْه ويَحْرِمْه من أبوته الروحية . ثم ينتقل من ذلك مباشرة إلى رجائه بالتوسط له عند مدير البعثة لتسوية أوضاعه المالية حتى يستطيع أن يحقق هذه المواعيد ، وكذلك بالكتابة إلـى والـده لطمأنته علـى أنه ليس شابا غويّا فاسـد السلـوك . ولا ينسى فى غمرة كل هذا أن يعرّج على الديوانى بك فيغمزه بأنه ، على ما يظهر من شكله ، تركى الأصل [١]. يريد أن يقول إنه متعنّت متعجرف دون سبب ، وهى تهمة غير صحيحة بطبيعة الحال ، فليس من المعقول أن يطالَب مسؤول فى مثل منصبه بمقابلة هذا الفشل المتكرر من طالب بعثة تحت إشرافه بالتصفيق والتهليل والتربيت على كتفيه . إن مندور ، بكلامه هذا وأشباه له من قبل ، يريد أن يلغى مبدأ الثواب والعقاب بل يريد أن يقلب الأوضاع فيجعل الحق باطلا والباطل حقا . إننى أومن أنه لو كان قد انصرف فى باريس إلى تأدية واجبه ولم يغترّ بقدراته أو يَسْعَ إلى الصدام دون حقّ مع المسؤولين فى مكتب البعثات بباريس وأقبل صادقا على مقرراته يستذكرها كما ينبغى ، وبخاصة اللغات

---

(١) السابق / ١٨٤ ـ ١٨ .

والآداب القديمة والقـراءة « فيهـا » بدلا من الاعتمـاد على القراءة « عنها » باللغة الفرنسية كما ذكر أكثر من مرة لأستاذه الدكتور طه ، وابتعد عن أسلوب الحياة الجاڤروشى البوهيمى القائم على الجرى فى أرجاء العاصمة الفرنسية طولا وعرضا وشرقا وغربا وارتياد علب الليل لكان لأحواله هناك شأن آخر ، فإن طالبا يجمع مثله بين الدراسة فى الجامعة المصرية فى ثلاثة تخصصات مختلفة فى ذات الوقت وينجح فى امتحاناتها جميعا لعدة سنوات لهو قادر ، لو أخلص النية والجهد ، على إحراز الليسانس والدكتوراه من السربون فى أقصر مدة مع التبحر فى القراءة وارتياد المتاحف والمسارح والقيام بالرحلات الترفيهية والعلمية بشرط أن يراعى الاعتدال والتوازن بين هـذه الواجبات المختلفة ، وهو ما يبدو أن مندور لم يفعله ، فكانت النتيجة للأسف هى هذا الهوان الذى كان يطارده ويلاحقه من كل جانب ونَشْر خَبَر فَصْله من البعثة فى الصحف المصرية مما أفزعه أشد الفزع وكتب إلى أستاذه يستجير به منه (١).

ونصل إلى آخر خطاب فى كتاب نبيل فرج مما أرسله مندور من فرنسا لأستاذه قافزين فوق بعض الرسائل التى لا تهمنا فى هذا السياق كثيراً ، وهو الخطاب المؤرخ فى ٢٥ مايو ١٩٣٧م ، وفيه يكرر مندور

(١) السابق / ١٨٦ ـ ١٨٧ .

وعده للدكتور طه بأنه سينجح وسيجعل الامتحان هو الذى يتكلم بدلا منه . وليس فيه شيء آخر مما يتعلق بموضوعنا الذى نعالجه فى هذا الفصل. ومع هذا فهناك مسألة لابد من إضافتها هنا ، فقد ذكر مندور فى إحدى رسائله التى بعث بها لطه حسين بعد عودته من البعثة أنه لم يتم فصله بل صدر قرار من مجلس الكلية يخيّره فيه بين الرجوع إلى الكلية والاستمرار فى باريس على نفقته الخاصة ، وأنه آثر البقاء لدراسة علم الأصوات التجريبى(١) . كذلك فهو يؤكد للدكتور طه أن بعثته لم تفشل رغم عدم حصوله على الدكتوراه (٢) . والحق أن الإنسان لا يدرى كيف يتعامل مع مثل هذا المنطق ، إذ ما هو الفشل إذن فى بعثة كان المفروض أن يحصل صاحبها على درجة الدكتوراه فلم يحصل عليها بعد أن هيأت له الدولةُ طوال ثمانى سنوات ثم أسرتُه للسنة التاسعة كلَّ ما يلزمه لإحراز هذا النجاح ؟ من الواضح أن مندور كان يتمتع بجرأة يُحْسَد عليها ومقدرة على إلباس الباطل ثياب الحقّ واتباع سياسة « الهجوم خير وسيلة للدفاع » كما سبق القول .

وفى آخر رسالة من مندور لطه حسين بعد عودته من البعثة ، وقد وقّع عليها معه زميله فى البعثة على حافظ بهنسى ، نجد نبرة

(١) السابق / ٢١٧ . والرسالة مؤرخة فى ٢٥ إبريل ١[illegible]٠م .
(٢) السابق / ٢١[illegible] _ ٢٢٤ .

صوت مندور فى مخاطبته لأستاذه تتغير ، إذ بعد الودّ والتخاشع الزائد والتفانى فى الثناء عليه والتهافت على تقبيل يديه الكريمتين الطاهرتين نسمع مثل العبارة التالية : « سيدى الأستاذ ، نحييكم تحية خالصة مخلصة ثم نسألكم أن تعبأوا بأمرنا فى الكلية التى صرنا فيها كسقْط المتاع ولا يُلْقَى علينا من الدروس إلا أشياء أولية كمبادئ النحو اللاتينى واليونانى لطلبة لا يدرسون هذه اللغات دراسة جدية ... ولسنا ندرى علام بَذَلْنا من شبابنا تسعة أعوام نحصّل ونعمل ثم لا نجد من يزكّينا ولا يقرّبنا من الخير بل لا نجد إلا دعاة النميمـة يقطعـون علينا كل سبيل ، ويرموننا عند من لا يقدّر دراستنا بالجهل مرة وبالغرور مرات ثم بالثورة أحيانا ... ونحن مؤمنون رغم كل شىء أن بيدك أن تفعل الخير إن أردت ... إلخ » (١) .

والحقيقة والواقع أن هذا هو التمرد والغرور بعينه ، وإلا فماذا نسمى مثل هذا الموقف وتلك اللهجة من مبعوث سلخ من عمره تسع سنوات يدخل الامتحان تلو الامتحان ويفشل فى معظمها ولا يحصل إلا على ليسانس ثم يريد أن يفرض شروطه على الكلية التى يعمل بها ظنا منه أن من حقه أن يُعَامَل معاملة الحاصلين على درجة الدكتوراه ؟ وانظر إلى كلامه للدكتور طه ، الذى وقف إلى جانبه وكان يَحُلّ له

(١) السابق / ٢٢٤ _ ٢٢٥ .

أولا بأول مشاكله التى ورط نفسه فيها فى بلاد الفرنسيس بإهماله واجباته والعيش فى شرنقة الادعاءات الجوفاء ، تركيف تنكّر جملة واحدة لكل ما صنعه من أجله هذا الأستاذ !

ومعروف أن مندور قد ابتعد بعد هذا عن الدكتور طه وأقبل على الدكتور أحمد أمين ، الذى أعد معه رسالة عن النقد العربى القديم حصل بها على الدكتورية سنة ١٩٤٣م ، وهى الرسالة التى ظهرت لاحقا فى كتاب بعنوان « النقد المنهجى عند العرب » والتى ظن نعمان عاشور خطأ أن عميد الأدب العربى كان هو المشرف عليها[١] .

ومعروف أيضا أن مندور ترك الجامعة بعد ذلك واشتغل بالصحافة. وقد برّر هذا بأن طه حسين قد حَنِقَ عليه لإقباله على أحمد أمين فرفض ، عندما كان مديرا لجامعة الإسكندرية التى كان يعمل بها مندور ، أن يرقّيه إلى وظيفة مدرس « أ » من الدرجة الرابعة[٢] .

ويتبنى الأستاذ رجاء النقاش وجهة نظر مندور بل يزيد عليها قوله

---

(١) انظر نعمان عاشور / مع الرواد / ٦٥ . وقد عاد بعد ذلك إلى الصواب فذكر أن المشرف هو الدكتور أحمد أمين ، وذلك فى مقاله « ذكريات عن مندور » المنشور بمجلة « أدب ونقد » (العدد ١٢)/ إبريل ومايو ١٩٨٥م / ٨٨ .

(٢) انظر فؤاد دوارة / عشرة أدباء يتحدثون / ١٨٩ ـ ١٩١ .

إنه سمع عدداً كبيراً من تلاميذ الدكتور طه يؤكدون « أنه كان فى معاملته لطلابه عاطفيا شديد الحساسية سريع التأثر ، فهو يقف بحرارة وراء الذين يحبهم بل ومازال يقف وراءهم إلى اليوم يزكّيهم ويسهل لهم فرص العلم والحياة ، بينما كان شديد العنف على الذى يثيرون كراهيته بين الطلاب فيقف ضدهم مواقف حادة قاسية . وقصة مندور شاهد على ذلك [(١)] . ولا شك أن هذا الموقف يمثل جانبا من جوانب الضعف فى شخصية ذلك الأستاذ العظيم طه حسين ، وهو ضعف إنسانى طبيعى » . ويبدى الأستاذ النقاش استنكاره ودهشته إزاء هذا الضعف الطاهِرِىّ [(٢)] .

وهناك تفسير آخر لترك مندور الجامعة يقدمه الأستاذ نعمان عاشور ، إذ أرجح ذلك إلى « انغماره فى الحياة العامة وتأثره بالتيار الاشتراكى القوى الذى غيّر الحياة الثقافية على نهاية الحرب العالمية الثانية » [(٣)] . وبقريب من ذلك يقول الأستاذ فتحى رضوان ، الذى يؤكد أن مندور قد آثر الصحافة على الوظيفة الجامعية المرموقة والمرتب المضمون ، وذلك لإحساسه « أن دورا كبيرا من النضال والعمل الحرّ

---

(١) ويمكننا أن نضيف إلى هذا موقفه من زكى مبارك ومحمود شاكر ونجيب البهبيتى مثلا .

(٢) رجاء النقاش / أدباء معاصرون / ١٠٨ ـ ١٠٩ .

(٣) نعمان عاشور / مع الرواد / ٦٥ .

ينتظره ، فلم يتردد فى توقيع العقد بينه وبين صاحب جريدة «المصرى» غير آبهٍ بما قد تجره عليه الأيام من متاعب تحصيل العيش فى أيام كان دخل الأديب ضئيلاً » [١] . ولا يبتعد كثيرا عن هذا التفسير الأستاذ فؤاد قنديل ، الذى يضيف أن مندور قد « أدرك أنه لن يستطيع أن يقدم القرابين لأحد لأن كرامته فوق أى حق من حقوقه مهما غلا ... وأن طبعه لا يتفق مع الجامعة والكلاسيكية المطلوبة لها مع قدر من التزمت والجمود وقدر آخر من العزلة والترفع عن المجتمع والبعد عن مشاكله والاكتفاء بتعليم النظريات وشرح الأفكار والفلسفات » [٢]. ولكنى أعتقد أن الحديث عن مغالاة مندور بكرامته هو حديث مبالغ فيه ، فقد ذكر غير واحد أن لقمة العيش كثيرا ما جعلته يتغاضى عن مسألة الكرامة هذه [٣]. أضف إلى ذلك أن خطاباته لأستاذه طه حسين جمعاء (اللهم إلا الفقرات الأخيرة من خطابه الأخير) تقول عكس

---

(١) فتحى رضوان / محمد مندور عميد النقد الأدبى العربى الحديث / مجلة « أدب ونقد » (العدد ١٢)/ إبريل ومايو ١٩٨٥م / ٦٩ - ٧٠ .

(٢) فؤاد قنديل / محمد مندور شيخ النقاد / ٦٢ .

(٣) انظر مثلا رجاء النقاش / أدباء معاصرون / ١٠٥ - ١٠٦ ، وسليمان فياض / وجوه من الذاكرة / ٣٦ ، ونعمات عاشور / مع الرواد / ٧١ ، وما نقله د . محمد الدسوقى عن ثروت أباظة فى كتابه « طه حسين يتحدث عن أعلام عصره » / سلسلة « اقرأ » (العدد ٥٧٨)/ ٨٣ - ٨٤ .

ذلك . أما دعوى التنافر بين طبع مندور وأوضاع التدريس فى الجامعة لما يحفّ بها من تزمت وجمود وترفع عن المجتمع وانعزال عنه ، فإن حياة مندور وكلامه ينقضانها ، إذ ظل ، بعد تركه الجامعة ، يحاضر فى بعض المعاهد العالية ، كما أنه يقول بصريح اللفظ فى أحد فصول كتابه « قضايا جديدة فى أدبنا الحديث » : « يظهر أنى خُلِقْتُ لأكون مدرسا . وبالفعل لم أهجر قط هذه المهنة رغم تقلبات حياتى المتعاقبة ، فقد واصلتُ التدريس وأنا أعمل بالصحافة أو المحاماة أو البرلمان . ولا أخفى أن هذه المهنة قد كانت دائما من مصادر بهجتى وعزائى فى الحياة . ولا أظن فرحة تعدل فرحتى برؤية زهرة من زهرات الشباب تتفتح بين يدىّ أو تَهَشّ للقائى » (١) .

أيا ما يكن الأمر فمن المفيد أن نتعرف على وجهة نظر الدكتور طه فى هذه القضية وفى شخصية الدكتور مندور بوجه عام . لقد قال طه حسين ذات مرة للدكتور محمد الدسوقى الذى اشتغل بالقراءة والكتابة له فى أخريات حياته : « إن الدكتور مندور ليس ذا بال فى الثقافة » ، فرد عليه هذا قائلا : « إن الدكتور مندور قد أسهم فى حياتنا الفكرية المعاصرة إسهاما طيبا ، وله مؤلفات علمية جديرة بالخلود » ،

---

(١) محمد مندور / قضايا جديدة فى أدبنا الحديث / دار الآداب / بيروت/ ١٩٥٨م / ١٢٢ . وانظر أيضا ما قاله فى هذا الموضوع فى حواره مع فؤاد دوارة فى « عشرة أدباء يتحدثون » /٢٠٢ ـ ٢٠٣ .

فقال العميد : « مثل ماذا ؟ » فأجابه د. الدسوقى : « مثل كتاب : النقد المنهجي عند العرب » ، فقال : « هذا كتاب (هايف) ، واعلم أن هذا الكتاب هو رسالة الدكتوراه التى تقدم بها الدكتور مندور إلى جامعة القاهرة ، فقد أوفدتُه فى بعثة فى باريس ومكث بها اثنتى عشرة سنة(١) ، ولم يتمكن طوال هذه المدة إلا من الحصول على درجة الليسانس فى اليونانى بسبب عبثه ولهوه وعدم إخلاصه للعمل ، وبعد عودته قدّم ذلك الكتاب كرسالة حصد بها درجة الدكتوراه » . هذا ما قاله الدكتور طه عن شخصية مندور العلمية والخلقية ، أما عن سبب تركه للجامعة فيقول : « إن الدكتور مندور ... كان يحرص على المادة، فحين كان أستاذا مساعدا بجامعة الإسكندرية عرض عليه الأستاذ أحمد أبو الفتح أن يدفع راتبا مقداره ١٢٥ جنيها لقاء عمله فى صحيفة « المصرى » ، وجاء إلىّ الدكتور مندور (فقد كنت مديرا للجامعة) وقدّم إلىّ استقالته ، فحاولت أن أثْنيَه عن عزمه وأذكّره بمستقبله فى الجامعة ، بيد أنه أصر على رغبته فى الاستقالة (٢) ، فالراتب الذى سيحصل عليه من العمل فى الصحافة ضِعْف راتبه فى الجامعة . وبعد فترة اختلف مع الأستاذ أبو الفتح ووصل الأمر بينهما

---

(١) المعروف أنه مكث فيها تسع سنوات ليس غير .

(٢) يقول الأستاذ رجاء النقاش ، ضمن ما قاله عن نقمة طه حسين على مندور ، إن الدكتور طه لم يحاول أن يثّنيه عن هذه الاستقالة (انظر كتابه « أدباء معاصرون » / ١٠٨) .

إلى القضاء » . ثم بعد فترة صمت قليلة أضاف قائلا: « والذى أحمده للدكتور مندور وفاءه [١] وحسن تقديره لأساتذته وأدبه معهم فى الجدل والنقاش » [٢].

فأين الحقيقة فى هذه الروايات المختلفة عن استقالة مندور من الجامعة ؟ يبدو لى أن رواية طه حسين ربما كانت أقرب إلى الواقع ، ودليل ذلك أن مندور فى حوار له مع عبد التواب عبد الحىّ لا يذكر متاعبه مع إدارة الجامعة بل لا يشير إليها مجرد إشارة ولو من بعيد ، وكل ما قاله هو أن محمود أبو الفتح قد أبدى إعجابه بمقالاته التى كانت تنشرها له مجلة « الثقافة » وأرسل يفاوضه فى أن يشتغل معه فى صحيفة « المصرى » عارضا عليه مرتبا شهريا قدره خمسة وسبعون جنيها [٣] بعقد مدته خمس سنوات فقبل فورا . ويؤكد هذا ما أبداه مندور نفسه للأستاذ عبد الحى من ندم على هذا الاختيار ، وهذا هو نص كلامه : « لست أدرى كيف زلَّت قدمى فدخلتُ هذا الطريق المظلم المسدود » [٤] . وندمه نابع ، فيما أتصور ، من أنه قد خرج من الجامعة ولم يستطع أن يعود إليها وأن أحلامه المالية المتعلقة

(١) كذا وردت ، والصواب رفعها لأنها خبر الاسم الموصول .
(٢) د. محمد الدسوقى / طه حسين يتحدث عن أعلام عصره / ٨٣ – ٨٤ .
(٣) وليس مائة وخمسة وعشرين جنيها كما قال طه حسين .
(٤) عبد التواب عبد الحى / عصير حياتى / الدار القومية للطباعة والنشر / ١٨١ .

بالصحافة ورواتبها الكبير قد انتهت إلى لاشيء . وقد نستطيع أن نضيف إلى ما قاله الدكتور طه عن سبب استقالة مندور من الجامعة إحساسه بأنه مهما فعل فسيظل دون زملائه الذين حصلوا قبله على الدكتوراه ولم يتعرضوا لما تعرّض له من الإخفاق المتكرر .

ومع ذلك فإن الإنسان لا يستطيع إلا أن يعجب أشد العجب من قول د. لويس عوض ، تعليقا على طول مدة البعثة التى قضاها مندور فى فرنسا ورجوعه بعد انصرام تسع سنوات دون إحراز درجة الدكتورية ، إن مندور « لم يشأ أن يخطف العلم خطفا ويعود بعد أربع سنوات [(١)] حاملا دكتوراه الجامعة أو حتى دكتوراه الدولة فى الأدب العربى كما كان مقررا له أن يفعل ، بل رأى فى بعثته الفرنسية فرصته الثمينة للتغلغل فى أسرار الحضارة الأوربية ودراسة الأدب والفن على الطبيعة وليس فى صحائف الكتب التى كان يستطيع أن يستقدمها إلى القاهرة دون حاجة للسفر إلى الخارج » [(٢)]. وهو نفسه ما قاله د. مندور عن لويس عوض فى كتابه « النقد والنقاد المعاصرون » ، وكأنهما الصوت والصدى [(٣)]. ووجه العجب فى هذا الكلام ما فيه

(١) كانت مدة البعثة أربع سنوات قابلة للتمديد كما يقول ، وكانت كذلك على أيامى عندما كنت أدرس للحصول على درجة الدكتورية من جامعة أكسفورد ، وأحسب أنها لا تزال كذلك

(٢) د. لويس عوض / الثورة والأدب / الكتاب الذهبى يوليو ١٩٧١م / ١٥ .

(٣) انظر د. محمد مندور / النقد والنقاد المعاصرون / مكتبة نهضة مصر / ١٩٦ .

من سفسطة ، وإلا فإن لويس عوض نفسه هو ، بمقتضى كلامه هذا، واحد ممن خطفوا العلم خطفا ، إذ لم يقض فى بعثته كل هذه المدة التى قضاها مندور ورغم هذا حصل على درجة الدكتوراه التى لم يُكْتَب لمندور الحصول عليها . كما أن هذه السفسطة تشجّع المبعوثين على إطالة مدة بعثتهم وتكبيد الدولة الأموال الطائلة بحجة أنهم يُّبْغُون الرسوخ فى العلم وعدم خطفه خطفا . ولو كان هذا منطقا صائبا لرأينا الغربيين حينما يأتون إلى بلادنا لدراسة آدابنا وديننا ، وهم قليلا ما يفعلون ، يحرصون على إطالة أمر بقائهم بين ظَهْرانَيْنا كيلا يكون علمهم خطفًا . والملاحظ أن هذه السفسطة هى حجة الذين لا يوفَّقون عادة فى بعثتهم . ثم ألا يكفى المبعوثَ أربعُ سنوات أو خمسٌ أو ستٌ كى يتعرف على الحضارة الأوربية ويتقن تخصصه ويحصل على شهادة الدكتوراه التى أرسلته الدولة من أجلها ؟ إن فى التحجج بأن الشهادات ليست هى كل شىء أَوْ ليست هى المرادة من طلب العلم تناقضا شديدا ، لأن السؤال المنطقى فى هذه الحالة هو : ولم حرص صاحب هذه الحجة على نيل الشهادات السابقة على الدكتوراه ولم يقتنع بمجرد طلب العلم ؟ وفضلا عن ذلك فلست فى الحقيقة أدرى كيف يمكن دراسة الأدب على الطبيعة فى فرنسا ؟ أيقصد الدكتور لويس الأفلام والأعمال المسرحية ؟ لكن هل كل النصوص الأدبية روايات ومسرحيات ؟ وعلى أية حال أفلم يكن من الممكن مشاهدة الأفلام والمسرحيات فى مصر ؟ وأخيرا أفلا يمكن أن يحقق

المبعوث الهدفين معا : دراسة الأدب والفن فى الحياة ، ودراستهما فى نفس الوقت فى الكتب والحصول من ثم على الشهادة التى تثبت أنه قد بذل جهده فى البحث والدرس وأن عنده من الفهم والمعرفة ما يمكنه من أن يكون مدرسا ينقل علمه للأجيال التى تليه ؟ إن معظم المبعوثين يفعلون ذلك .

وجريا على خُطَا لويس عوض فى هذا المضمار يكتب فؤاد دوارة فى الكتاب الذى ألفه عن الدكتور مندور فى سلسلة « نقاد الأدب » فيقول إنه « خلال إقامته الطويلة فى باريس لم يكتف مندور بمتابعة المناهج التى فرض على نفسه دراستها بل انفتحت شهيته العلمية للمواظبة على حضور الكثير من المحاضرات لكبار أساتذة الفلسفة والتاريخ والاجتماع وعلم النفس خارج البرامج المحددة لدراسته، فضلا عما اكتسبه خلال تلك السنوات من ثقافة خصبة عميقة من حياته العريضة الحرة فى باريس ورحلاته الكثيرة خارجها وفى بعض الدول الأوربية ، وبخاصة اليونان مهد الحضارة الإغريقية »(١) . وبغض النظر عن مدى الدقة فى هذا الكلام أو المبالغة فيه إلى الدرجة التى يقول دوارة عندها إن مثل هذا الزاد الثقافى الضخم لم يتوفر لأحد من أساتذة الأدب العربى من جيل مندور ، نتساءل : إذا كان الأمر كذلك فما

---

(١) انظر فؤاد دوارة / محمد مندور/ ١١٦ .

الذى حال بين مندور صاحب كل هذه الهمة الثقافية والقدرات الدراسية وبين النجاح فيما هو أدنى من ذلك وأسهل تحصيلا ؟ أو لماذا لم يهتم بأن يجمع بين الحسنيين : تحصيل هذه الألوان الثقافية المختلفة الحرة ، والنجاح فى المواد المقررة ؟ هل هناك تعارض بين الأمرين ؟ كلا ثم كلا ، فضلا عن أن هناك نقاداً فى جيل مندور وفى الأجيال السابقة والتالية قد تركوا أعمالاً نقدية أكثر وأعمق وتدل على أن الجهد المبذول فيها أضخم كثيرا من جهد مندور فيما خلّف من كتب ودراسات ، فإن معظم ما كتب مندور فى مجال النقد النظرى إن هو إلا تلخيصات أو ترجمات لأصول فرنسية لا يعنّى نفسه حتى بمجرد الإشارة إليها . وأوضح مثال على ذلك كتاب چان كالڤيه فى « النماذج العالمية » ، الذى سطا عليه وأخذه كما هو لم يفعل فيه شيئا فى الغالب سوى أن قدّم بعض فقراته وأخّر ، وهو ما سوف نبحثه تفصيلا فى الفصل التالى من هذه الدراسة .

ويردد فؤاد قنديل ما يقوله لويس عوض وفؤاد دوارة مع شيء من التلوين والتفصيل فيقول : « لقد قرأ مندور فى هذه الفترة مئات الكتب وقابل عشرات الشخصيات البارزة من السياسيين والأدباء الفرنسيين والمستشرقين الأوربيين ودارت بينه وبينهم مناقشات ومساجلات جادة وعميقة فى شتى القضايا ، فضلا عن مشاهداته فى المعابد والمتاحف والمعارض والمكتبات » . ثم يضيف قائلا : « كان صوت الحياة فى أذن

وقلب مندور أعلى ، ونبرته أوضح ، فاستجاب لها وجرفه تيارها وظل الوطن فى عينيه وفى قلبه هما أوحدا [١] . إن الحياة المجنونة فى باريس هى التى جذبته إلى الحياة لا إلى باريس . لقد عمقت فى نفسه إحساسه بالحياة والعمل والكفاح . ولعل هذا ما يؤكد لنا أن نية مندور فى إعداد رسالة الدكتوراه فى الأدب العربى قد بدأت فى التلاشى تدريجيا بعد وصوله إلى باريس وحياته فيها ومعايشته للتيارات العنيفة التى كانت تعصف بأوربا ، وهو الذى جاء من مياه ضحلة ومن سكون أشبه بسكون الصحراء . كان يندفع نحو الحياة ليأخذ منها أوفر الجرعات لأنه عن قريب سيعود إلى المياه الضحلة وإلى سكون الصحراء » [٢] .

وهذا فى الواقع كلام كبير ، ولكنه فى نهاية المطاف مجرد كلام لا أكثر ، فمن أين للأستاذ قنديل أن مندور قابل عشرات السياسيين والأدباء والمستشرقين البارزين وناقشهم وباحثهم أثناء دراسته فى فرنسا ؟ إن مندور نفسه لم يقل ذلك ، فهل ينبغى أن نكون مندوريين أكثر من مندور؟ إن خطابات مندور لأستاذه الدكتور طه حسين ، كما سبق أن بينا فى هذا الفصل ، تصوره دائم العثرات والتخبط والإخفاق ، وليس فيها أى حديث عن مستشرقين أو سياسيين

(١) كذا ، وصوابها : « همًا أوحد » .

(٢) فؤاد قنديل / محمد مندور شيخ النقاد / ٥٠ .

كبار أو صغار . وقد بلغ من تكرر تعثره أن أخذ يبكى ويهدد بالانتحار كما رأينا . والحق أنه لولا تدخل الدكتور طه من أجله فى كل مشكلة يجلبها لنفسه بسبب عدم اهتمامه بدراسته ومن ثم فشله فى معظم الامتحانات التى دخلها لأُعيد من البعثة مبكرا . والحق أيضا أن مندور كان بارعًا فى معرفة المنافذ التى يستطيع أن يدخل منها إلى قلب الدكتور طه . ولقد ظلّ يُطْنِب فى الثناء عليه وكيّل المديح والدعاء له ولأفراد أسرته إلى أن ضاق به الدكتور طه ورفع يده عن مساعدته فانقلب عليه مندور وتحول إلى الدكتور أحمد أمين ، ثم بعد ذلك كتب مقالا نقديا عن « دعاء الكروان » أخذ يتحذلق فيه ويتعالم على أستاذه ونسى ما كان يقوله من قبل فيه [١] . ولست أقصد أن أدافع عن الدكتور طه ولا عن روايته ، فإن رأيى فيها أشد مما قاله الدكتور مندور [٢] ، ولكنى أريد أن ألفت النظر إلى انقلاب مندور الفجائى على أستاذه الذى كان يملأ أسماع الدنيا ضجيجا بالتغزل فى محاسن عقله ونفسه ، وذلك بمجرد أن قبض يده عن انتشاله من الحُفَر التى كان دائم الوقوع فيها .

---

(١) انظر هذا المقال فى كتاب مندور « فى الميزان الجديد » / ط٣ / مكتبة نهضة مصر ومطبعتها / ٥١ _ ٥٨ .

(٢) انظر الفصل الخاص بها فى كتابى « فصول من النقد القصصى » / ط٢ / ١٩٨٧م / ٥٩ _ ٧٦ .

ومع ذلك فإن فؤاد قنديل قد سها فوضع يده على الحقيقة ونطق بها دون أن يدرى ظنا منه أنه يدافع عن مندور ، بينما هو فى الواقع يكشف عُوَاره وضعفه ، وذلك حين قال إن الحياة الباريسية المجنونة قد شغلته عن دراسته فأخذت نيته فى إعداد رسالة الدكتوراه فى الأدب العربى تتلاشى ... إلخ . ونزيد على ذلك أن اهتمامه بالدراسة التحضيرية لرسالة الدكتوراه كان هو أيضا ضئيلا جدا ، إذ لم ينجح فى الحصول على الليسانس إلا بعد تسع سنوات بالتمام والكمال .

هذا ، وقد كنتُ أشرتُ فيما سبق من صفحات فى هذا الفصل إلى أن مندور كان يخطئ أخطاء فاحشة فى لغته الأم كما تبيّن لنا خطاباته التى كان يرسلها من فرنسا إلى أستاذه الدكتور طه والتى نشرها نبيل فرج فى كتابه « طه حسين ومعاصروه » . وهأنذا أستعرض مع القارئ فى عَجَلٍ هذه الأخطاء ، وهى أقوى ردّ على من يكيلون لمندور المدح جزافا من هذه الناحية . وسوف أغض الطَّرْف عما يمكن أن يكون مَرْجِعُه إلى الأخطاء المطبعية ، وستكون خطتى هى ذكر الجملة التى ورد فيها الخطأ ثم شَفْعه بالتصويب عقبه مباشرة بين قوسين :

- ... لأنى واثق أنكم لن ترونَ (تروْا) إلا الخير (١٠٨) .

- ولعل أستاذى علم بأن لى صديقا من الـ " Ecole nor-male" ومرشّح (ومرشَّحًا) للـ " École d' Athènes " أُحضِرُ

معه امتحاناتى (ص ١٠٠) .

- قبل أن يتدأ (يبتدئ) العام الدراسى (ص ١١٣) .

- وأما الرسالتين (الرسالتان) فربما كانتا كالآتى : ... (ص١١٣) .

- لم أنساك (أنْسَكَ) يا أستاذى (ص ١١٤) .

- واعتذرت له عن عدم استأذانه (استئذانه) قبل زيارة مصر (ص ١١٥) .

- ولكن فيما (فيم) العجب ؟ (ص ١١٦) .

- ما أظنه سمح يوما ... أن تضطرد (تطّرد) أيام شبابى حلوة فى غير مرارة (ص ١١٦) .

- ما أظنكم تطالبونى (تطالبوننى) بهذا (ص ١١٨) .

- وصلنى من أخى خطاب ومن أحد أبناء عمى خطاب آخر يخبرانى (يخبراننى) بخبر فصلى من البعثة (ص ١٢٠) .

- وكنت أظن أنكم ستصدّقونى (ستصدقوننى) فيما أقول (ص ١٢١) .

- سامحكم الله ، وعشتم سعيدون موفقون (سعيدين موفقين) (ص ١٢٢) .

- عاقبنى لخروجى عن رأيه ... عقابا ليس دونه (ليس وراءه ،

أو ليس بعده) عقاب (ص ١٢٧).

ـ وكم يكون امتنانى (شعورى بالمنة) [١] لو سمح وقتكم وتفضلتم بإخبارى عن مجمل شعوركم نحوى (ص ١٣٢) .

ـ ليس لدينا مثلا (مثلٌ) أصح ولا أسلم لدراسة تاريخ وتطور اللغات غير هذا المثل (ص ١٣٣).

ـ كما لا يخفاكم (يخفى عليكم) (ص ١٣٣ . وقد تكررت عدة مرات أخرى فى ص ١٣٤ ، ١٤١ ، ١٥٠ ، ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ، ٢٠٦) .

ـ من يستطيع أن يدّعى دراسة اللغة الفرنسية دون أن يكون فى متناوله على الأقل الكتابين الهامين (الكتابان الهامان) الذى (اللذان) أقتصر على ذكرهما ... ؟ (ص ١٣٧).

ـ ... دون أن يصلنى أى رد من حضرة مدير البعثة على خطابىّ الذى (اللذين) أخبرته فيهما بما كان من أمر امتحاناتى (ص ١٤٤).

ـ أَلْفتُ نظر عزتكم إلى أننى لم أرجو (أرجُ) معالى مكرم باشا ليتدخل فى الأمر إلا لضيق ذات يدى (ص ١٤٥).

ـ هل من النبل وكرم النفس أن يختصم مديرُ بعثةٍ طالب

(١) « الامتنان » هو الإنعام أو التذكير بالنعمة لا الشعور بها .

(طالبًا) تحت إشرافه ، طالِب (طالبًا) لا حول له ولا قوة ... ؟ (ص ١٤٧).

- وهأنا أرسل لكم إحداها مؤقتا لتَرَوْن (تَرَوْا) بأنفسكم صدق ما أقول (ص ١٤٩).

- هل تريدون أن أقبل معاملة كهذه ، لا أقول بصفتى تلميذكم ، بل بصفتى إنسان (إنسانا) على الأقل مستنير (مستنيرا) ... ؟ (ص ١٥٠) .

- ما كنت أنتظر مِنْ وراءها (ورائها) شيئا (ص ١٥٣).

- رجائى الأخير الحارّ هو أن تتفضلوا فتكتبون (فتكتبوا) لى عن رأيكم (ص ١٥٨)

- وقد بحثتُ عبثا فى الجرائد عن ملخصا (ملخص) فلما قلنم فلم أجد شيئا (ص ١٥٩).

- ولكلاهما (لكليهما) أثر واضح فى حياتنا اليومية (ص ١٦٣).

- وهم فلاسفة أىْ مفكَرين (مفكّرون) (ص ١٦٥).

- كانوا فلاسفة أكثر من رياضيين (أكثر منهم رياضيين) (ص١٦٧) .

- ... وإلا لفضّلتُ رأيه وذهبتُ إلى إحدى القرى فى فرنسا أو

إحدى (أَحَدْ) شواطئ البحار (ص ١٧٤).

- ومهما يصيبنى (يُصِبْنى) من أذى فَأشَدّه فى نفسى ما أصاب أهلى من حسرة (ص ١٧٧).

- وإذا كان إخواننا الفلاسفة والمؤرخين (والمؤرخون) أضاعوا خمسة أو ستة أعوام فى تحضير ليسانس فلسفة أو تاريخ ... وأما (أفما) يصحَ عَدْلا أن تعطونا سنـة أكثر منهم على الأقل ... ؟ (ص ١٨٠).

- أما كان من الواجب ... أن تحققوا معى ... وتعاقبوننى (وتعاقبونى) بخصم مرتبى مثلا أسبوعا أو اثنين أو شهرا ؟ (ص ١٨١).

- أظن هذا لا ترضوه (لا تَرْضَوْنه) ولا يرضاه إنسان (ص ١٨٣).

- لم يغْوينى (يُغْوِنى) أحد عن نفسى (ص ١٨٥).

- وهأنا أشعر بأنى مُساَق (مَسُوق) نحوك فى راحة نفس (ص ١٨٨).

- وهنـا يأتـى دور السبب الآخر لخفوقى (لإخفاقى) فى البعثة (ص ١٩٤).

- إلى هذا يجب أن ينصرف مجمعنا لو كان لرأيى قيمة أو لو سُألْتُ (سُئِلْتُ) فى ذلك (ص ٢٠٤).

- ماذا نفعل بالثمانية (بالثماني) سنوات [١] الأخرى ...؟ (ص ٢٢٣).

ويرى القارئ معى كيف أن الأخطاء الإملائية واللغوية فى تلك الخطابات كثيرة وباهظة وأنها فى أمور ابتدائية غير معقدة ولا تليق بأى حال بطالب يدرس للحصول على الدكتورية فى اللغة العربية وآدابها وفى ذلك الوقت المبكر من عمر التعليم المصرى قبل أن تفسد الأمور على النحو الذى نعرفه الآن [٢] . وسوف يقابل القارئ مثل هذه

(١) لست أرى فى دخول الألف واللام على العدد المضاف إلى تمييزه غير المعرف بـ « أل » بأساً . وقد عالجت هذه المسألة بشىء من التفصيل فى كتابى « رحلة ابن جبير الأندلسى - دراسة فى الأسلوب » / مطبعة الأوفست الحديث / ١٩٩٢م/ ١٦٦ - ١٦٨.

(٢) لاحظت أن فؤاد دوارة ، عندما أعاد نشر ماكتبه له د. مندور عن حياته فى كتابه عنه فى سلسلة « نقاد الأدب » بعد أن كان نشره فى «عشرة أدباء يتحدثون » فى الستينات ، قد غير بطريقة مطردة التركيب التالى : « بينى وبين فلان » وجعله « بينى وفلان » بحذف « بين » الثانية (ص ٣٧ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٧٥ ، ٨٠ مثلا) . وهو خطأ يبدو أن سببه قياسه تكرير « بين » فى هذا التركيب (الذى أحد طرفيه ضمير) على تكريرها فى نحو قولهم : « بين على وبين أحمد»، إذ يخطئ اللغويون المتشددون هذا الاستعمال الأخير . وهذا القياس خاطئ تماما، لأن « بين » يجب أن تكرر إذا كان أحد طرفيها أو كلاهما ضميرا . بل لقد أثبتُ ، عن طريق إيراد عشرات الشواهد من الشعر الجاهلى والإسلامى ، أن تكرارها ، حتى لو كان طرفاها كلاهما اسمين ظاهرين ، لا غبار عليه (انظر كتابى « من ذخائر المكتبة العربية » / دار النهضة العربية / ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م / ١٧١ - ١٧٥) . ومع هذا فإن مندور لا يسأل عن هذا فيما يخيل إلىّ بل دوارة .

الأخطاء في ترجمة مندور لرواية فلوبير « مدام بوفارى » .

إن للدكتور مندور رأيًا في مسألة الصحة والخطإ في اللغة يعارض ملاحظاتنا السابقة على أخطائه ، إذ يقول : « إن مسألة الصحة والخطإ في اللغات أصبحت مسألة تافهة لا يُحْرَص عليها في غير مجال التعليم المدرسى ، وأما العلم فقد تقدم وأصبحت المناهج تاريخية ، فترى العلماء اليوم لا يقررون الخطأ والصواب في اللغات ، وإنما يستقرئون الاستعمالات عند كبار الكتاب ويفسرون ما يطرأ على اللغة من تطور » [(١)] . بيْدَ أنى لا أستطيع الموافقة على هذا الكلام ، إذ لابد أن يظل هناك معيار للصواب والانحراف في كل مجالات الحياة ، ومنها اللغة . وبإمكان كبار الكتاب أن يبتدعوا تعبيرات وصورا وتراكيب جديدة يُغْنُون بها اللغة ونقبلها على الرأس والعين ما دامت تجرى على القواعد العامة للُغة ولا تصادمها . أما تحطيم الإعراب على النحو الذى رأينا في خطابات مندور لعميد الأدب العربى فهو مرفوض تمامًا ، لا من الناحية اللغوية فحسب[(٢)] بل من الناحية الذوقية الجمالية أيضا ، إذ

(١) د. محمد مندور / في الميزان الجديد / ٢٠٧ ـ ٢٠٨ . وانظر أيضًا كتابه « كتابات لم تنشر » / كتاب الهلال (العدد ١٧٥) / أكتوبر ١٩٦٥م / ١٠٠ .

(٢) حيث إن علامات الإعراب تحدِّد إلى مدى بعيد معنى الكلام ، فقولنا مثلا : « ضرب عليًا محمد » معناه أن الضارب هو محمد والمضروب هو علىّ ، والذى عرَّفنا هذا هو رفع « محمد » ونصب « علىّ » أيا كان موقع أ. منهما من الجملة .

ما معنى أن أحذف نون الأفعال الخمسة فى بعض حالات النصب والجزم مثلا ولا أحذفها فى بعضها الآخر ؟ إن فى هذا خروجا على التناسق والنظام ، وهو ما يؤذى النفس والعين . ولقد تكرر ضربُ مندور المثلَ ببعض أخطاء إملائية فى كتابات فلوبير ، وردُّنا على ذلك هو أن عبقرية فلوبير قد تكون أكبر من هذه الأخطاء ، لكنها لا يمكن أن تحيل الباطل صوابا. ولو برئتْ كتابته من هذه الانحرافات لكانت بالتأكيد أفضل كثيرا . وعلى كل حال فإن الخطأ وارد فى كل ما نبدع وما نكتب ، ولكن ليس معنى ذلك أن نباركه أو ننادى به أو نتحدث عنه وكأنه حسنة . كلا بل ينبغى أن نظل ننظر إليه على أنه شىء مَعِيب ومنفِّر ، ولا بد أن نبذل كل ما بوسعنا للتخلص من أوضاره .

وفوق هذا ففى مواضع أخرى من كتابات مندور نراه يرحّب بمثل هذه التصويبات اللغوية مثلما فعل مع ملاحظات المازنى على بعض الاستعمالات الأسلوبية عند حافظ إبراهيم(١) . بل إنه هو نفسه قد خطّأ مثلا الأستاذ محمد خلف الله لاستخدامه كلمة « السيكلوچية » بمعنى « نفسية فلان » قائلا إنها خطأ ، لأن هذه اللفظة تعنى « علم النفس » ، والصواب أن نقول : « عقلية » أو « نفسية » أو « ذهنية » (٢) . ولو اتبعنا كلامه الأول لقلنا : وماذا فى

(١) انظر كتابه « النقد والنقاد المعاصرون » / ١٦٨ _ ١٦٩ .

(٢) انظر « فى الميزان الجديد » / ١٦٦ / هامش ١ .

استخدام « سيكولوجية » بمعنى « نفسية » مادام الكُتّاب الكبار كالأستاذ خلف الله يستخدمونها[١]؟ ثم ها هو ذا الدكتور مندور نفسه يدافع ، بنفس الحرارة التى ندافع بها ، عن القواعد اللغوية ، وذلك فى رده على مهاجمة ميخائيل نعيمة للأدباء والنقاد المتشددين فى اللغة وقواعدها وعلومها ، إذ حَمِدَ الله أن هذا الهجوم لم يخرج من النطاق النظرى إلى المجال التطبيقى ، كما أكّد له « أن قواعد اللغة ليست قيودا متطفلة بل أدوات تعبير بالغة الأهمية ... فإن أدوات الإعراب هى وسائل التعبير عن العلاقات التى تقوم بين دلالات الألفاظ من فاعلية ومفعولية وإخبار وإنشاء وتحديد زمنى ونوعى للأحداث . واللغة التى تتهاون فى قواعدها إنما تتهاون فى أهم جانب من جوانب وظيفتها ، وهو جانب التعبير عن الروابط والعلاقات »[٢].

---

(١) وذلك إن كان استعمالها فى هذا المعنى استعمالا خاطئا . والحق أنه استعمال صحيح رغم كل ما قاله د. مندور (انظر مثلا معجم إدوار تركيا المسمى " Dictionnaire Français - Arabe " ومعجم « المنهل » لجبور عبد النور وسهيل إدريس) .

(٢) النقد والنقاد المعاصرون / ٤١ - ٤٢ .

اتهام مندور بسرقة كتابيه : « نماذج بشرية » و « محاضرات عن إبراهيم المازني »

في الأعوام الأخيرة ثار كلام حول الدكتور محمد مندور بخصوص كتابه « نماذج بشرية » ، الذى يحوى عدة دراسات نقدية نشرها منجّمةً في مجلة « الثقافة » في الأربعينات ثم جمعها بعد ذلك في كتاب ؛ إذ وجّه إليه د. الطاهر مكى التهمة بأنه سرقه كله تقريبا من كتاب چان كالڤيه أستاذ النقد الفرنسى الذى كان يدرّس (كما يقول) في جامعة السربون في الوقت الذى كان فيه مندور مبعوثا إلى فرنسا للحصول على درجة الدكتوراه ، وهو كتاب من ثلاثة أجزاء بعنوان « النماذج العالمية في الأدب الفرنسى والعالمى » : فالنماذج التى درسها مندور هى هى النماذج التى درسها كالڤيه ما عدا نموذج « إبراهيم الكاتب » للمازنى ، والموضوعات هى هى ، وكذلك المنهج والاستشهادات . ولم يُعْنَ مندور نَفْسَه بالإشارة إلى هذا المرجع الفرنسى ، ومن ثم فعمله يدخل في باب « النسخ » و « السرقة الأدبية » على حد تعبيره [١] .

ثم تابع د. عبد اللطيف عبد الحليم هذه القضية بجريدة « الأهرام » في صفحة « الأهرام الأدبى » ، التى فتحت « ملف

(١) انظر د. الطاهر أحمد مكى / الأدب المقارن / أصوله وتطوره ومناهجه / دار المعارف / ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م / ٢٩ ـ ٣٠ .

السرقات الأدبية » واستهلته بمقال للدكتور عبد اللطيف عنوانه « المازنى وكامل حسين ومندور هل كانوا يعترفون بالحقوق المحفوظة للمؤلف؟ » تعرض فيه لعدد من قضايا السرقات الفكرية والأدبية منها الاتهام الذى يلاحق كتاب الدكتور مندور « نماذج بشرية » ، فذكر مقالا نشرته مجلة « الأقلام » العراقية فى ينايـر ١٩٦٧م لعبد المطلب صالح بعنوان «هل الدكتور مندور هو المؤلف الحقيقى لكتاب : نماذج بشرية؟»(١) ، ودراسة للأستاذة الإسبانيـة ماريا خيسومـن بيجيرا نشرتهـا فـى مجلـة " Al - Menara " تحت عنوان «دون كيخوتى فى النقد المصرى » ، فضلا عن السطور التى خصصـها د. الطاهر مكى فى كتابه « الأدب المقارن » ، وهى السطور التى لخصنا ما جاء فيها قبل قليل . ولم يكتف الدكتور عبد اللطيف بهذا بل دعا النقاد وأساتذة الأدب الفرنسى ، وبخاصة الذين عندهم الأصل الفرنسى الذى سطا عليه د. مندور ، أن يهتكوا أستار الصمت وأن يجهروا بالحقيقة ، بل توقع أن ينحّى بعض الدارسين عنصر المجاملة ويضع رسالة صغيرة فى هذا الموضوع الذى يدخل فى مجال « الأدب المقارن » (٢) .

---

(١) وكان هذا المقال قد نُشر قبل ذلك فى مجلة « الرسالة الجديدة » القاهرية (إبريل ١٩٦٥م/ ٢٠ ـ ٢٢) ، ثم أُعيد نشره فى « الأقلام » العراقية مع بعض الإضافات والتصرفات الطفيفة .

(٢) انظر د. عبد اللطيف عبد الحليم / المازنى وكامل حسين ومندور هل كانوا يعترفون بالحقوق المحفوظة للمؤلف ؟ / صفحة « الأهرام الأدبى » بجريدة « الأهرام » / الثلاثاء ١٩ مارس ١٩٩٦م .

وقد ردت السيدة ملك عبد العزيز (زوجة الدكتور مندور) فركزت على ما نقله د. عبد اللطيف من كتاب الدكتور مكى ولم تتعرض للأسف بشيء لمقال عبد المطلب صالح ولا لدراسة الأستاذة الإسبانية . ويتلخص ردّها على د. مكى بأن حكمه هو مجرد انطباعات عامة لا تقوم على أسانيد حقيقية ، إذ اكتفى ببعض الملاحظات الخارجية كقوله إن كتاب « نماذج بشرية » لا يشتمل إلا على نموذج واحد من عند الدكتور مندور نفسه هو نموذج « إبراهيم الكاتب » . وقد علّلت هذه الملاحظة الأخيرة بأن الأدب المصرى بل الأدب العربى الحديث كله لم يكن فيه فى ذلك الوقت (١٩٤٠م ـ ١٩٤١م) إلا ثلاث روايات هى « سارة » للعقاد و « زينب » لهيكل و « إبراهيم الكاتب » للمازنى . أما بعد أن ظهرت روايات نجيب محفوظ والسباعى وغيرهما فقد أضاف مندور إلى النماذج السابقة عدة نماذج أخرى مستقاة من أعمال هذين الكاتبين وغيرهما ، وذلك فى كتابه « قضايا جديدة فى أدبنا الحديث » .

وفيما يتعلق بتماثل النماذج فى كتابى كالڤيه ومندور فإن السيدة ملك عبد العزيز تعلّله بأن عيون الأدب العالمى التى أُخذَتْ منها تلك النماذج معروفة للجميع ، كما أنها قُتلت بحثا ودرسا وتحليلا قبل أن يتناولها زوجها ، ومن الممكن إذن ألا يكون فيما أتى به كالڤيه

ومندور أى جديد . وعلى أية حال فقد كان الدكتور مندور ، كما تقول ، يقرأ أوّلا الرواية أو المسرحية التى يريد أن يدرس شخصيتها الرئيسية مبلورا فى أثناء ذلك أفكاره ، ثم لا يرجع إليها إلا حينما يورد استشهادا منها بعينه . وهى لا تستبعد أن يكون الدكتور مندور قد قرأ كتاب كالفيه أو غيره من الدراسات التى تتناول ذات الموضوع ، ولكن هذا لا يعنى أنه سرقها ، وبخاصة أن ما كتبه يتسم بالأسلوب الحار والتحمس الشديد للفقراء والمواهب المتألقة التى تقوم فى سبيلها العقبات الكئود . أما بالنسبة للنصّ المنقول من مسرحية « زواج فيجارو » لموليير فهو نص لابد لكل من يدرس هذه المسرحية من الاستشهاد به كاملا لأنه لب المسرحية وحكمتها الوحيدة . وفى النهاية تدعو الشاعرة الفاضلة أساتذة دار العلوم ألا يسرفوا فى اتباع المنهج النقدى للعرب القدماء الذى يَكْلَف باتهام الأدباء والشعراء بالسرقة وأن يكتفوا بما يُؤْثِره النقد الحديث من الكلام عن « التأثر » أو « توارد الخواطر » [(١)].

هذه زبدة ما قالته الأستاذة ملك ، وهو يستلزم بعض التعقيبات : فقد رمت سيادتُها أساتذة « دار العلوم » بأنهم يهجون نهج نقادنا

(١) انظر ملك عبد العزيز / مندور ليس أول المتَّهَمين بالسرقات / صفحة « الأهرام الأدبى » بجريدة « الأهرام » / الثلاثاء ٢ إبريل ١٩٩٦م .

القدماء فيسرفون فى الاتهام بالسرقات الأدبية . ولستُ أدرى الحكمة فى تخصيص الدراعمة بذلك ، فهم يدرسون نفس ما ندرسه نحن فى كليات الآداب من مناهج ومواد . ألأنّه قد تصادف أن كان متّهِمًا الدكتور مندور بالسرقة أستاذين من « دار العلوم » فأرادت أن تعيبهما كما عابا زوجها ؟ أعتقد أن الجواب لا يمكن أن يكون إلا بالإيجاب، وإلا فلماذا تجاهلت الأستاذ عبد المطلب صالح والأستاذة ماريا خيسومن بيجيرا ؟ ولقد كان د. مكى ، فى ردّه على هذه النقطة ، على حقّ حين ذكر من بين المتّهِمين المحدثين بالسرقة عبد الرحمن شكرى (الذى اتهم المازنى بسرقة بعض أشعاره من كتاب « الذخيرة الذهبية ») ، وعباس محمود العقاد (الذى اتهم د. محمد كامل حسين بسرقة كتابه « وحدة المعرفة ») ، وكذلك الدكتور مندور نفسه (الذى اتهم إحسان عبد القدوس بأنه سرق إحدى قصصه من القصاص النمساوى ستيفان زفايج)[(١)] ، وهؤلاء الثلاثة جميعا من غير أبناء « دار العلوم » . وبطبيعة الحال فإن قائمة المتّهِمين بالسرقة من أبناء الكليات الأخرى مليئة بالأسماء ، وبمستطاعنا أن نشير على وجه العجلة إلى محمود شاكر واتهامه للدكتور طه حسين بالسطو على

(١) انظر مقاله « نماذج د. مندور مأخوذة من كتاب كالفيه ما عدا نموذجا واحدا » / صفحة ، الأهرام الأدبى » بجريدة « الأهرام » / الثلاثاء ٩ إبريل ١٩٩٦م .

مقالة مرجليوث عن الشعر الجاهلى ، والمازنى والقضية التى رفعها ضد إبراهيم رمزى بدعوى السطو على أحد أعماله وترافع فيها عن هذا الأخير د. محمد لطفى جمعة ، ورمزى مفتاح وادعائه أن فى شعر العقاد سرقات من صديقه شكرى ، وفؤاد دوارة وما كتبه عن أخذ إحسان عبد القدوس إحدى قصصه من الكاتبة الفرنسية فرانسواز ساجان ، وأبناء الدكتور عبد الحليم النجار والقضية التى رفعوها ضد د. رمضان عبد التواب يتهمونه بالسطو على ترجمة والدهم لكتاب « العربية » ليوهان فك ، وكذلك القضية التى انتُدِبْتُ خبيرا فيها وكانت خاصة بدعوى رفعها أحد الصحفيين يتهم كاتبا للسيناريو بأنه سرق أقصوصة له وحولها إلى فلم ... إلخ، وهو ما يعنى أن ردّ السيدة ملك هو ردّ فى غير محلّه ، بل هو ردّ العاجز الذى لا يجد ما يقوله سوى اتهام المتحدثين بما ليس فيهم لعلّه بذلك يشغلهم بالدفاع عن أنفسهم عما هم بسبيله . كذلك لو كان الأمر على النحو الذى تصوّره حرم الدكتور مندور لما وجدنا القانون يهتم بهذه المسألة ولا رجال القانون يصنفون فيها الكتب ، مثل الدكتور أحمد سويلم العمرى ، الذى له فى هذا المجال كتاب هام جدا بعنوان « حقوق الإنتاج الذهنى » ، والدكتور عبد الرشيد مأمون صاحب « الحقّ الأدبى للمؤلف » و « أبحاث فى حق المؤلف » ، والدكتور سينوت حليم دوس ، الذى كتب فى هذا الموضوع عدة دراسات منها « قراصنة الفكر » ، والدكتور أبو اليزيد المتيت مصنف كتاب « حقوق المؤلف الأدبية طبقا

للقانون ٣٥٤ لسنة ١٩٥٤ » ، والدكتور مختار القاضى مؤلف كتاب « حق المؤلف » ... إلخ ، وذلك من القانونيين المصريين وحدهم . وأيا ما يكن الحال فالأمر هنا ينبغى أن يجرى على القاعدة المعروفة : « انظر إلى ما قيل لا إلى من قال » . وعلى هذا فعندنا تهمة محدّدة موجهة إلى الدكتور مندور من الدراعمة ومن غير الدراعمة ، وعلينا أن نفصل فيها ، وهو ما سوف نقوم به بعد قليل .

كذلك ادّعت الأستاذة ملك ، كما رأينا ، أن الأدب العربى الحديث لم يكن يعرف فى أوائل الأربعينات إلا ثلاث روايات تقريبا هى « زينب » و « إبراهيم الكاتب » و « سارة » ، وهو ادعاء غير صحيح بتة . وقد ردّ عليه د. مكى وذكر عددا من الروايات المصرية قال إنها ظهرت قبل ذلك ، وهى « عودة الروح » للحكيم (١٩٣٣م) و « أديب » لطه حسين (١٩٣٥م) و « القصر المسحور » له وللحكيم (١٩٣٦م) و « الحب الضائع » (١٩٤٢م) و « أحلام شهر زاد » (١٩٤٣م) و « شجرة البؤس » (١٩٤٤م) لعميد الأدب العربى و « قنديل أم هاشم » ليحيى حقى (١٩٤٤م) و « مليم الأكبر » لعادل كامل (١٩٤٤م)[1]. ولكن يبدو أن السهو قد لعب لعبته هنا فأورد الأستاذ الدكتور عناوين بعض الروايات التى ظهرت بعد مقالات مندور عن النماذج البشرية كما هو بيّن . ومع ذلك فبإمكاننا أن نضيف قصصا أخرى صدرت قبل مقالات

---

(١) نفس المرجع والصفحة .

مندور مثل « فتاة مصر » ليعقوب صروف (١٩٠٥م) و « فى وادى الهموم » لمحمد لطفى جمعة (١٩٠٥م) و « عذراء دنشواى » لمحمود طاهر حقى (١٩٠٦م) و « الشيخ سيد العبيط » لمحمود تيمور (١٩٢٦م) و « حواء بلا آدم » لمحمود طاهر لاشين (١٩٣٤م) و « البوسطجى » ليحيى حقى (١٩٣٤م) و « باب القمر » لإبراهيم رمزى (١٩٣٦م) و « عصفور من الشرق » و « يوميات نائب فى الأرياف » لتوفيق الحكيم (١٩٣٧م) و « قلب غانية » (١٩٣٧م) و « نداء المجهول » (١٩٣٩م) لتيمور و « عاصفة فوق مصر » لعصام الدين حفنى ناصف (١٩٣٩م) و « النقاب الطائر » لمحمود طاهر لاشين (١٩٤٠م) و « عبث الأقدار » لنجيب محفوظ (١٩٤٠م) . وهذه ليست إلا أمثلة قليلة ، ومن الأدب المصرى وحده ، وللمشاهير ليس إلا . ومع ذلك فقد عادت الأستاذة ملك فكررت هذه الدعوى بعد ذلك رغم تفنيد د. مكى لها ، وذلك فى حديث صحفى لها تال على رده عليها[(١)] .

وهناك نقطة ثالثة ردّ عليها د. مكى قائلاً إنه لم يشرها فى حديثه عن سرقة د. مندور « نماذجه البشرية » من كالفيه ، ألا وهى الإشارة إلى الاستشهاد بالمونولوج الشهير فى مسرحية « زواج فيجارو »[(٢)] .

(١) انظر هذا الحديث بعنوان « شاهدة عيان على أدب نصف قرن » / إعداد عطية العيسوى/ مجلة الإذاعة والتليفزيون/ السبت ١١ مايو ١٩٩٦م/٦٩.

(٢) انظر مقال الدكتور الطاهر مكى فى صفحة « الأهرام الأدبى » بـ « الأهرام » / الثلاثاء ٩ إبريل ١٩٩٦م . والواقع أن صاحب هذه الإشارة هو الأستاذ عبد [illegible] صالح [illegible] مقاله السالف الذكر .

ومع هذا فقد عادت الأستاذة ملك إلى ترديدها فى الحديث الصحفى التالى لمقال د. مكى . ولست أستطيع أن أعرف السبب فى عودتها إلى ترديد هاتين الدّعْوَيَيْن رغم ردّ الأستاذ الدكتور عليهما : ترى ألم تقرأ ما كتب ؟ أم تراها قرأته ونسيته ؟ أم يا ترى قرأته ولم تنسه ولكنها أرادت أن تُوقِع فى رُوع القراء أن الحجج التى يستند إليها الدكتور مكى فى اتهام زوجها حجج واهنة ؟ ذلك أنه كان ينبغى عليها ، إن أصرت على أن تكرر ما كانت قالتـه من قبل ، أن توضح لماذا تعود إلى ترديده بعد الردّ عليه .

كذلك ففى هذا الحديث الصحفى تتطرق الأستاذة مَلَك إلى أن السبب فى الهجوم على زوجها هو أنه لم يعترف بشاعرية على الجارم (الذى يُفْهَم من السياق أنه كانت هناك حلقة عنه فى برنامج « مع النقاد » كان ضيفاها د. الطاهر مكى و د. عبد اللطيف عبد الحليم ، اللذين تعرضا ، ضمن ما تعرضا له فيهـا ، إلى اتهـام د. منـدور بسرقة « نماذج بشرية ») ، ففهمت السيدة الفاضلة أن الأستاذين الدكتورين قد هاجما زوجها إرضاءً للدكتور أحمـد الجارم ، الذى استضافهما للحديث عن أبيه على الجارم فى الحلقة المذكورة .

وبعيد عندى أن يكون هذا هو سبب اتهام الأستاذين المذكورين للدكتور مندور بالسرقة ، فقد سبق أن كتب هذان الأستاذان فى هذا

الموضوع قبل ذلك ، فضلا عن أنهما (فيما يخيَّل إليَّ) أحرص على سمعتهما من أن يقولا ما قالاه عن د. مندور مراعاةً لخاطر أحد من أسرة الجارم . ثم إن القضية مثارة قبل ذلك بأعوام فى مصر والعراق وإسبانيا ، فلا داعى من ثم للتمحُّك بهجوم د. مندور على شعر الأستاذ الجارم . وأحسب أن الدكتور الطاهر مكى هو آخر من يستطاع اتهامه بممالأة شاعر تقول الأستاذة ملك إنه كان شاعر الملك فاروق ، فالدكتور الطاهر بالذات كان إلى وقت قريب مُحْتَفًى به أشد الاحتفاء لَدُنْ من يسمون أنفسهم بالتقدميين ، فكيف بالله يُحْسَب من الرجعيين ؟

كذلك أكدت السيدة الفاضلة أن الدكتور مندور كان يملى عليها ، وهو رائح جاءٍ فى الغرفة ، « نماذجه البشرية » من ذهنه مباشرة. تريد أن تقول إنه لم يكن يمسك فى يده أثناءها كتاب چان كالڤيه ، ومن ثم فلا مجال للقول بالسرقة . وهذه ، فى الواقع ، شهادة كأية شهادة تحتاج إلى فحص ومراجعة لنرى مدى ما فيها من صدق ودقة ، وذلك بالرجوع إلى كتابَىْ كالڤيه ومندور والمقارنة بينهما ، وعندئذ نعرف طبيعة العلاقة بينهما وهل هى مجرد تأثر عادىّ ، أم هل هى سرقة حقيقية ويكون قول الأستاذة ملك إنها مجرد تأثر نوعًا من تحلية البضاعة كتسمية المرتشى للرشوة « هدية » أو « عمولة » مثلا .

ومن جانب ... عاد الدكتور الطاهر مكى، فكرر أنه كان فى

الجزائر منذ عدة سنوات واطلع على كتاب چان كالڤيه فوجد أن هناك تطابقًا بينه وبين كتاب الدكتور مندور فى الأمثلة والنماذج والأسماء وطريقة اختيار الشواهد ، ومعنى ذلك (كما قال) أن مندور قرأ كتاب كالڤيه ونقله حرفيا ونسبه إلى نفسه . ثم أضاف أنه بصدد البحث عن كتاب الأستاذ الفرنسى لمقارنته بكتاب الدكتور مندور ، وعندئذ سيكون الحكم للنقاد والأدباء [١] . وكان الأستاذ الدكتور قد قال فى كتابه « الأدب المقارن » إن كتاب كالڤيه قد صدر فى ثلاثة أجزاء : اثنان منها يحتويان على نماذج من الأدب الفرنسى ، والثالث على نماذج من الآداب الأوربية الأخرى .

والواقع أن هذه القضية قد شغلتنى منذ أن أثيرت : شغلتنى أولاً الشغلان العام الذى يقع لأمثالى من المهتمين بحكم تخصصهم بالحركة الأدبية والنقدية، ثم زاد هذا الشغلان فى السنة الأخيرة بفعل بعض الظروف الخاصة ، فطفقت أبحث عن كتاب كالڤيه فى كل المظانّ إلى أن وجدته عند أحد الأصدقاء فاستعرته منه ورحت أقلب صفحاته أولا لأعرف النماذج المشتركة بينه وبين كتاب الدكتور مندور فوجدت أنها لا تعدو أن تكون أربعة هى : « جڤروش » و « ألسست » و « چوليان سوريل » و « راستنياك » ، على حين أن فى كتاب مندور ثلاثة عشر نموذجا أوربيا آخر لا وجود لها عند كالڤيه ، وفى كتاب

---

(١) انظر مقال محمود مطر « بعد رحيلهما بسنوات : محمد مندور وعلى الجارم يعودان إلى دائرة الضوء والنقد والتجريح » / مجلة الإذاعة والتليفزيون / الـ... ٦ يوليو ١٩٩٦م / ٧٤ .

هذا ثمانية نماذج لا توجد فى كتاب مندور ، فعدت أسأل صديقى صاحب الكتاب عن السر فى هذا فقال إن الكتاب الذى أعارنيه هو جزء من أجزاء ، وإنه هو الجزء الوحيد الذى استطاع الحصول عليه من فرنسا بعد جهد طويل مُضْنٍ . لكنى لم أكتف بهذا وهاتفت الدكتور مكى فأكّد لى ما سمعته من الصديق المذكور . ولما راجعت كتابه « الأدب المقارن » والمقالات التى نشرت حول هذا الموضوع فى الصحف وجدته يقول الشىء ذاته ، فعدت أسأل بعض من أعرف من أساتذة الأدب الفرنسى فى الكلية ، بل طلبتُ من أحد تلاميذى السابقين ممن يتعاملون مع الحاسوب أن يجمع لى من الإنترنت كل ما يقدر على جمعه من معلومات عن ذلك الكتاب فلم نظفر بطائل . وكنتُ قد تنبهت إلى أن الجزء الذى معى إنما هو الجزء الثانى من الكتاب ، وبرق فى ذهنى أن أبحث عن باقى الأجزاء فى مكتبة الدير الدومينكانى بالعباسية فوجدت الجزأين الخاصين بالأدب الفرنسى (ط١٩٣٢م) ، وعثرتُ فى أولهما على ثلاثة نماذج أخرى موجودة أيضًا فى كتاب مندور ، وهى « فيجارو » و « ترتران الترسكونى » و « بتلان » . فهذا هو وضع القضية مبدئيا ، وعلى ذلك فسوف تكون المقارنة بين ما قاله كالفيه ومندور فى هذه النماذج السبعة فحسب[1] إلى أن يقع فى يدى كتاب كالفيه الآخر الخاص

---

(١) وبالمناسبة فليس فى كتاب د. مندور من « نماذج » الأدب الفرنسى إلا ثمانية : هذه الـ ..ة ، ونموذج « فيليسيته » ، الذى لم أجده فى كتاب كالفيه .

بالنماذج البشرية فى الآداب الأوربية . وعنوان كتاب كالڤيه الذى عثرت عليه هو " Les Types Universels dans la Littéra- ture Française " ، وهو صادر عن دار " Fernard Lanore " بباريس[(١)] ، أما طبعة « نماذج بشرية » التى فى يدى فهى الطبعة الرابعة ، وقد صدرت عن « دار نهضة مصر » بالقاهرة دون تاريخ .

والآن وقد أصبحنا أمام الكتابين وجها لوجه أحسّ أن القراء متعطشون إلى أن يسمعوا النتيجة التى وصلتُ إليها . وسوف أكون عند توقعهم فأبادرهم بالحكم الذى كوّنته من خلال المقارنة بين الكتابين على وجه الإجمال لأشفى غليلهم ثم أعود فأفصّل القول فى ذلك . وهذا هو الحكم الإجمالى :

أولا : العنوانان متشابهان جدا كما هو واضح .

ثانيا : هناك سبعة نماذج مشتركة على الأقل بين الكتابين كما سبق أن وضحنا .

ثالثا : عدد الصفحات التى يشتمل عليها كل فصل فى كتاب كالڤيه أكبر من مثيلاتها فى كتاب مندور ، وقد تصل إلى الضعف .

---

(١) استخدمتُ فى الجزء الأول طبعة ١٩٣٢م ، وفى الجزء الثانى طبعة ١٩٦٤م .

رابعا : لاحظت أن الدكتور مندور قد أخذ ما كتبه المؤلف الفرنسى بنصه (فى معظم الأحيان) أو بعد أن لخصه (فى بعض الأحيان فقط) .

خامسا : ترك الدكتور مندور ما توسع به الأستاذ الفرنسى حين كان يتتبع الشخصية موضع الدراسة فى أعمال الأدباء الآخرين .

سادسا : النصوص المقتبسة عند مندور هى هى بنصها فى الكتاب الفرنسى (فى أغلب الأحيان) أو ملخصة (فى القليل منها) ، ولم يحدث أن نقل د. مندور أى اقتباس آخر غير ما فى كتاب كالفيه .

سابعا : لم يضف مندور إلى ما قاله كالفيه سوى بعض سطور هنا أو ههنا ، وبخاصة فى بداية الفصل وخاتمته ، وهى عبارة عن كلام عام أو تعليق خاطف .

ثامنا : توجد أخطاء غير قليلة فى الترجمة .

تاسعا : من اللافت للنظر أن مندور فى النموذج البشرى المصرى الوحيد قد أشار إلى أرقام الصفحات التى نقل عنها من رواية « إبراهيم الكاتب » ، أما فى النماذج الفرنسية فلا ، ولهذا دلالته التى لا تَخْفَى .

هذا هو الح[illegible] الإجمالى ، أما تفصيله ف[illegible] ذا . وسنبدأ

بنموذج « جفروش » ، وهذه هى الملاحظات التى خرجنا بها :

يفتتح الدكتور مندور الفصل الذى خصصه لهذا الصبى بالكلام عن الخلّق الأدبى ومسرحية « ست شخصيات تبحث عن مؤلف » للمسرحى الإيطالى بيرانديللو مشيرا إلى أن الشخصيات الأدبية تتمتع بالخلود بل تبقى على الزمن أطول مما يبقاه البشر ، ثم ينتقل إلى الكلام عن جفروش أحد أبطال رواية « البؤساء » لهيجو وكيف أنه لم يكن يعرف مواضعات الأخلاق التى تعارف عليها الناس ، إذ كانت حياته خروجا على هذه المواضعات وسَخَرًا بالقوانين ، ولم يكن يحس بما نسميه وخزات الضمير (١) .

وفى الفقرة الثانية من الفصل الخاص بذلك النموذج عند كالفيه نجد كلاما عن خلْق هيجو لنموذج جفروش ، الذى أصبح شخصية خالدة ، والذى تحول اسمه من اسم علم إلى اسم جنس (٢) ، وهى فكرة سيرددها مندور بعد قليل حين يقول : « هذا هو جفروش كما يعرفه كل الفرنسيين وكل من يتكلم الفرنسية حيث خلدت اللغة هذه الشخصية الأصيلة الجذابة بأن أدخلتها بين مفرداتها كاسم ذات وكصفة ، وهم يدعون الرجل « جفروش » : " Cést un gav-

(١) نماذج بشرية / ٢١ ـ ٢٢ .

(2) les Types Universels . t. II, p. 161 .

roche ، كما يصفونه بتلك الروح التى صورنا : " Il a l'éspit gavroche ، وليس بعد ذلك دليل على خلود هذا الأنموذج البشرى بين ما خَلَقَ الأدبُ من نماذج »[١] . كذلك فإن حديث مندور عن خروج هذا الصبى على مواضعات المجتمع وقوانينه موجود بنصه عند كالڤيه . وهذه هى عبارته : « يشتهر صبيان باريس ... بلامبالاتهم بقوانين المجتمع وتقاليده وبلغتهم المنحطة ... إلخ »[٢] .

أما بقية الفصل عند مندور فكلها تقريبا اقتباسات من رواية هيجو أو تلخيص لبعض أحداثها التى تبرز فيها بطولة هذا الصبى جڤروش، وجميع ذلك موجود فى الدراسة التى وضعها كالڤيه لا يكاد مندور يزيد عنها شيئا ، وإن كانت عند كالڤيه نقول أخرى وتعليقات لم يوردها مندور فى كتابه : فمثلا يقول مندور بعد أن نقل بعض الفقرات التى استشهد بها كالڤيه فى وصفه أطفال باريس المشردين : « ولنتتبع جڤروش قليلا فى أزقة باريس وهو يبحث عن عشائه » ، وهى نفس العبارة التى قالها كالڤيه تمهيداً لمرافقته جڤروش فى رحلته بحثا عن الطعام[٣] ، ثم يهمل مندور بعض الأسطر ليصل إلى كلام كالڤيه عن الحديقة التى بلغها جڤروش فينقله ملخصا مع بعض

(١) نماذج بشرية / ٢٧ .

(2) Les Types [illegible]niversels, t. II . p. 161 .

(٣) ص ٢٣ عند م[illegible]ر ، وص ٦٤ فى الجزء الثانى م[illegible] نص الفرنسى .

الأخطاء التى سنشير إليها حالا ، أى أنه لا يكتفى بنقل استشهادات كالفيه كما هى بل يأخذ أيضا تلخيصاته وتعليقاته من مثل وصف الأستاذ الفرنسى لجفروش بعد أن سرق محفظة النقود من مونبارناس وألقى بها من فوق سياج الحديقة للأب مابوف بـ « أنه فنان » ، إذ نرى مندور يردد نفس الوصف قائلاً إن « مزاجه مزاج فنان » [(١)] ، وكقول كالفيه عن جفروش إنه حين يأتى ما يأتيه من خير لا يتّبع تفكيره بل ينساق وراء وحى غريزته ، وهو ما نجده عند مندور فى قوله إنه « لا يعرف للشر أو للخير معنى ولا يأتى بهما عن حساب أو تقدير، وإنما هى طبيعته تسوقه إلى ما يفعل » [(٢)] . ومثل ذلك عبارة مندور التى يقول فيها عن مغامرات جفروش الصغيرة إنها « لا تُظْهِر ما بنفس هذا الطفل الحائر من غنى ، وأما اليوم الذى تجلت فيه ثروته الروحية فكان يوم ثورة سنة ١٨٣٢ » ، فإنها ليست شيئا آخر غير قول كالفيه فى نفس الموضوع : « ولكن كان لا بد له من ظروف استثنائية كى يستطيع غنى شخصيته أن يعبر عن نفسه بكل طاقته » [(٣)] ،

(١) آخر الفقرة الأولى من ص ١٦٥ من الجزء الثانى فى الأصل الفرنسى ، ومنتصف الفقرة الثانية فى ص ٢٤ عند مندور .

(٢) آخر الفقرة الثانية فى ص ١٦٦ من الجزء الثانى من كتاب كالفيه ، ونظير ذلك فى ص ٢٤ عند مندور .

(٣) الفقرة الثانية من ص ١٦٧ من الجزء الثانى من كتاب كالفيه ، ونظيرتها فى ص ٢٥ عند مندور .

يقصد ثورة ١٨٣٢م . كذلك فعندما يقول مندور معلقا على خلوّ البندقية التى وجدها جفروش أثناء الثورة من البارود : « لعل هيجو لم يشأ أن يجعل منه سفاكا للدماء » نجد أن هذه هى نفسها عبارة كالڤيه[١] .

والدكتور مندور حين يترجم ما استشهد به كالڤيه من اقتباسات قد يتصرف فيها فيحذف بعض التفاصيل أو يترجم بعض العبارات ترجمة غير دقيقة تماما أو يقدم فقرة ويؤخر أخرى : فمثلا لم يترجم عبارة هيجو التى تصف طفل باريس [٢] بأن « سنّه تتراوح بين السابعة والثالثة عشرة » [٣] ، وكذلك وصف الحمّالة بالصُّفْرة (بعد ذلك بثلاثة أسطر) . كما أنه قفز ، بعد الفقرة الأولى من الصفحة الثالثة والعشرين ، فوق فقرة كاملة فى الأصل الفرنسى (وهى الفقرة الثانية فى ص ١٦٢) ، وهذه أمثلة للتوضيح لا أكثر . أما الأخطاء فمنها ترجمته لكلمة " un bambin " بـ « الشحاذين » ، على حين أنها تعنى « الطفل / الأطفال »[٤] . ومنها قوله ، فى وصف المعركة التى دارت بين العجوز والشاب عند الحديقة ، إن الشيخ قد أنهض الفتى « آخذا بتلابيبه كما يفعل قط بفأر » ، بينما عند كالڤيه أنه

(١) ص ٢٦ عند مندور ، وأسفل ص ١٦٨ فى الجزء الثانى عند كالڤيه .
(٢) « أطفال باريس » عند مندور . والمعنى واحد فى الحالتين .
(٣) السطر السادس من ص ١٦٢ فى الجزء الثانى من النص الفرنسى .
(٤) ص ١٦٢ فى الجزء الثانى من الأصل الفرنسى ، ص ٢٣ عند مندور .

« قد أمسك بذراعيه فى قبضة واحدة » . ومنها هذا الخطأ الشنيع الذى تحول فيه تمثال الفيل الضخم الذى تخيله نابليون إلى تمثال لنابليون نفسه قال مندور إن جفروش قد مهّد للطفلين التائهين عند ساقه مضجعا يناماه فيه مستعينا فى ذلك بما يسرقه من أخشاب السياج الخاص بحديقة النباتات . أما تصويب ذلك فيستلزم أن ننقل عبارة كالفيه بنصها ، وهذه هى : « وهنا أشرقت فى عقل جفروش فكرة عبقرية ، إذ كان هناك فى ركن منعزل من ميدان الباستيل تصميم خشبى لنُصُبٍ هائل من بنات خيال نابليون ، وهو عبارة عن فيل يرتفع فى الجوّ أربعين قدما ويحمل فوق ظهره برجًا يشبه منزلا من المنازل . وكان يحيط بهذا الوحش سياج متداع . ولم يكن هناك من لا يزال يذكر هذا التمثال أو يلمّ به سوى جفروش ، الذى وضع ساكنيه داخل جانبى الحيوان ... لقد ثبّت سلما إلى بطن الفيل حيث أحدث فتحة ووضع الصبيين فى ركن يجدان فيه الحماية من أذى الجرذان بوساطة شبكة من الحديد سرقها من حديقة النباتات »(١) . ويرى القارئ الكريم كمّ الأخطاء الفادحة التى ارتكبها د. مندور فى فهم هذا النص السهل القصير ! وبالمثل يتحول عنده محلّ بيع الأشياء القديمة إلى « مخزن أسلحة »(٢) .

---

(١) الفقرة الثانية فى ص ١٦٦ من الجزء الثانى من كتاب كالفيه ، والفقرة الثالثة من ص ٢٤ عند مندور .

(٢) الفقرة الثالثة من ص ١٦٧ فى الجزء الثانى من الأصل الفرنسى ، ونظيرتها فى ص ٢٥ عند مندور .

وإذا كان مندور قد وقف فى فصله الذى نحن بصدده عند جڤروش « البؤساء » فقد مضى كالڤيه فى الصفحتين الأخيرتين من فصله عن « جڤروش » (ص ١٧٠ ـ ١٧٢) يتتبعه فى أعمال بعض من أتوا بعد هيجو من الكتاب الفرنسيين وتناولوه فى صور أخرى .

مما تقدم يتضح لنا أن مندور ، فيما كتبه عن نموذج جڤروش ، لم يكد يأتى بشىء من عنده . إنما هو ناقل ، وفى بعض الأحيان ملخّص ، لما قاله كالڤيه . ويضاف إلى ذلك أن فهمه لما ترجمه أو لخّصه لم يكن دائما بالفهم السليم أو الدقيق .

* * *

فإذا انتقلنا إلى نموذج « فيجارو » فسوف نجد مندور فى أول الفقرة الثانية من ص ٢٨ يقرر أن هذا الشخص هو أحد من مهدوا للثورة الفرنسية ، وهو ما نجده عند كالڤيه ، الذى يقول إننا نراه دائمًا فى نهاية الـ " folle journée " ينظم الثورة التى توشك أن تبدأ ، إذ لا ريب فى أن « زواج فيجارو » هو أول أحداث تلك الثورة [١] .

وعند مندور نقرأ أن سخرية فيجارو « هى انتقام مرّ من نظام بلغ من فساده أن كان الشعب يسعى إلى هدمه دون أن يفكر فيما يريد أن يقيم على أنقاضه من نظام » [٢] ، وهو ما لا يبعد عن قول كالڤيه عن مؤلف فيجارو من أنه « كان هو أيضًا رجلا من رجال تلك الفترة

(1) Les Types Universels, t. I, pp. 192 - 193 .

(٢) د. محمد مندور : نماذج بشرية / ٢٨ .

العجيبة التى كان يشعر فيها الناس بأن ثمة مجتمعًا يتفكك دون أن يفكروا فى النظام الذى سيحل محله عندما يتحول إلى أنقاض » [١].

وفى المقارنة بين فيجارو وچيل بلاس (بطل إحدى روايات الكاتب الفرنسى لوساچ) يقول د. مندور : « لو أن فيجارو أراد لوصل إلى ما وصل إليه چيل بلاس من قبل ، ولكنه أبى النفس يرفض أن يميل مع الرياح ليمر على عنقه رجال جاءتهم الأقدار على غير فضل فيهم أو رفعهم حمقى البشر فوق ما كان يحب أن يبقيهم اتضاع نفوسهم » [٢]. ونتساءل عن السرّ الذى جعل مندور يفكر فى مقارنة فيجارو بچيل بلاس بالذات ، بيد أن السرّ سرعان ما ينكشف عندما نجد أن كالڤيه قد قارن من قبل بين هاتين الشخصيتين وقال نفس الكلام . فلننصت إذن : « إن فيجارو هو أخو چيل بلاس . ولقد دخل الاثنان كلاهما إلى الحياة والمجتمع دون مقومات الوجود ولاحظا مسيرته وكانا شاهدين على الشرّ والغباء الإنسانيين اللذين استغلاهما لكى يعيشا وحكما عليهما دون رأفة . ولكن بعد مرور الوقت استطاع چيل بلاس أن يتكيف واضعا بذلك يده على سرّ الوصول . وها هو ذا بعد وصوله يصبح أكثر تسامحا ... أما فيجارو ، الذى بدأ من مستوى اجتماعى أحطّ ، فإنه لم يصل إلى ذات المرتبة التى بلغها بلاس، إلا أنه كان يخفى تحت بدلة الخادم شخصية أقوى واستغلالاً أكبر . وقد استفاد هو أيضًا من عيوب النظام الاجتماعى ، لكنه كان ينتقدها

---

(1) t. I, p. 176 .

(٢) ص ٢٩ .

بوقاحة ، كما وضع نفسه فى نفس مستوى كبار القوم بوساطة السخرية ، ذلك السلاح الذى يفوق فى تحقيق المساواة بين الناس كل ما يتخيلون » [1]. وبالمناسبة فإن د. مندور قد كرّر فى الفصل الذى نحن بصدده كلمة « الوقاحة » عدة مرات ، وهو ذاته ما فعله كالفيه قبله فى الفصل المناظر . على أن ثمة شيئا مُهِمّا نجده عند كالفيه ولم يتعرض له مندور، ألا وهو السبب فى هذا الاختلاف بين الشخصيتين، إذ يعلّله كالفيه باختلاف الفترة التى عاش فيها كل منهما والروح التى كانت سائدة فيها [2].

ويتحدث مندور عن أصل فيجارو وكيف التقى به بومارشيه والكتب التى ألفها عنه فنجده ذات الحديث الذى تحدّثه كالفيه . يقول مندور : « وُلِد فيجارو ابنا طبيعيا لطبيب وخادمته وتخلى عنه آباؤه وسط أمواج الحياة فزاول الطفل كل المهن احتيالا على الحياة الغشوم ، وبخاصة مهنة الحلاقة . وبلغ من نجاحه فى تلك المهنة أن أصبح كل حلاقى الأرض يحملون اليوم ذلك الاسم . ولقيه المؤلف بومارشيه وقد سئم مهنته ، ومنذ ذلك اليوم أحبه فصاحب خطاه فى الحياة ، وقص عليه نبأه فى روايات مسرحية ثلاث : « حلاق إشبيلية » و « زواج فيجارو » و « الأم الجانية » . وقد مُثّلت الروايات الثلاث تباعًا فى سنى ١٧٧٥ و ١٧٨٤ و ١٧٩٠ . ومرت السنون وفيجارو يجالد الحياة وهو

---

(1) t. I, p. 175 .

(2) t. I, pp. 175 - 176 .

هو ذلك المرِح الصاخب الذي يلتمس في كل ألم جانبه المضحك . وانصرمت الأيام ، وكل ما فيها من ألم لا يستطيع أن يخلّف فى نفسه غير ابتسامة هادئة . وأما الغد فما كان يُعْنَى بأمره . وما له سلاح غير تلك السخرية يرسلها سهاما لمن يَمَسّه بسوء فيبلغ ما يريد من خصمه دون أن يترك جراحا ظاهرة » (١) .

ويقول كالڤيه : « تصوّر المسرحية لنا هذا الفيجارو ابنا طبيعيا لبارتولو الطبيب ومارسيلين الخادمة اللذين تخليا عنه وفقداه فى زحام الحياة حيث امتهن كل المهن ، وبخاصة مهنة الحلاقة ، التى أحرز فيها من النجاح ما جعل كل حلاق منذ ذلك الحين يسمّى « فيجارو » ، وذلك قبل أن يصبح خادمًا لدى الكونت ألماڤيڤا . وقد رسم له بومارشيه ثلاث صور : فى « حلاق إشبيلية » ... وفى « زواج فيجارو » ... وفى « الأم الجانية » ... ويستطيع الإنسان ، فى خلال متابعته لهذه المسرحيات حسب الترتيب الذى ظهرت به على خشبة المسرح (١٧٧٥م و ١٧٨٤م و١٧٩٠م) ، أن يدرس التطور الذى أصاب هذه الشخصية ... وفى « زواج فيجارو » يبدو لنا بطلنا فى شخصيته الأساسية ... ألا وهى المرح التلقائى ، والمهارة فى استخلاص البهجة من كل شيء حتى لو كان فى هذا الشيء إساءة لنا ، واللامبالاة التى تبعث على احتقار متاعب الماضى وتمنع من التفكير فيما يدّخره

(١) ص ٢٩ ـ ٣٠

المستقبل من آلام . إنها الروح المبتهجة المندفعة المجنحة التى تنطلق منه كالسهم بمجرد أن يمسه أى إنسان ناشبةً فى جلد محدّثه خادشة إياه خدشا صغيرا يكفى لإيقاظه لكنه لا يسبب له أية جراح»(١) . ترى هل أتى مندور بشىء لم يقله كالفيه ؟ وهل هذا الذى قاله د. مندور هو مما يمكن أن يوصف بأنه أفكار وتعبيرات عامة تستطيع أن تخطر لأى إنسان ؟

وحين يقدم لنا د. مندور فيجارو يقدّمه بهذه الكلمات : « ها هو حلاق إشبيلية يقفز إلى المسرح وكأنما يعلو منبرا ، وها نحن نراه أول ما يبدو فى أحد شوارع إشبيلية وقد علق فى ظهره قيثارته بشريط عريض من الحرير ، وها هو يوهم نفسه أنه قادر على كتابة أغنية يشيد فيها بالخمر والكسل اللذين يقتسمان قلّبه ، وها هو يعثر مصادفة بالكونت ألمافيفا أحد زبائنه القدماء فيقص عليه ما كان له من أحداث كصبى بصيدلية وكممثل مسرحى فيسأله الكونت لماذا ترك مدريد ؟

فيجارو : هو طالعى السعيد يا مولاى ... إلخ » (٢) .

وقد جرى مندور فى هذا على نفس الطريقة التى قدمه إلينا بها كالفيه ، الذى يقول : « يظهر لنا فيجارو فى أحد شوارع إشبيلية وعلى ظهره جيتار مربوط بشريط عريض . وها هو ذا يغنى فى مرح وفى يده ورق وقلم ، وقد أخذ يحاول إثارة قريحته ويتسلى بنظم أغنية عن

(1) t. I, pp. 177 - 78 .

(٢) ص ٣٠ .

الخمر والكسل اللذين يقتسمان قلبه . ويعثر مصادفة بالكونت ألمافيفا ، الذى كان يعرفه من قبل فى مدريد فيقص عليه تاريخ حياته الملىء بالمغامرات أو الحوادث المزعجة التى كان هو أول الضاحكين منها . لقد ذاق الكثير من مرارات الحياة صبيا فى صيدلية ومؤلفا دراميا يسخر منه الجمهور ، وانتهى أمره بإعلان مبادئه ، إذ يجيب الكونت الذى سأله عن السبب الذى حدا به إلى ترك مدريد قائلا : إنه طالعى السعيد يا مولاى ... إلخ » [١].

ومن الواضح الجلىّ أن مندور لم يضف شيئا من عنده سوى القول بأن الشريط الذى كان مربوطا به الجيتار كان من حرير . أما باقى الكلام فقد أدّاه كما قرأه عند كالڤيه بالحرف . حتى السؤال الذى طرحه الكونت على فيجارو عن سبب تركه مدريد أورده د. مندور بصيغة الكلام غير المباشر كما هو فى كتاب كالڤيه ، إذ لم يقل إن الكونت قد سأله قائلا : « ما الذى حملك على ترك مدريد ؟ » بل قال (كما قال الأستاذ الفرنسى) : « يسأله الكونت لماذا ترك مدريد؟ » . وإن جاءت ترجمته لجملة " et s'encourageant lui-même à avoir de l'esprit, il s'amuse à faire une chanson sur le vin et la paresse " غير دقيقة ، إذ جعلها هكذا : « وها هو يوهم نفسه أنه قادر على كتابة أغنية » ، على حين أنها أقرب ما تكون إلى ما جاء فى ترجمتى .

ويصف د. مندور سرعة حركات فيجارو وخفتها وما تنطوى

---

(1) t. I, pp. 178 - 179 .

عليه تصرفاته من مفاجأة غير متوقعة قائلا إنه « كنسمات الريح تحسّ بها ولكن لا تستطيع لها لمسا . وإنه لأهون على من يريد أن يمسك بنغمة من قيثارة فيجارو من أن يمسك بالرجل . وما لشخصه من وجود مُحَسّ أكثر مما لأغانيه التى تشيع فى الفضاء . تراه فى المنزل وما تدرى من أين دخل . تغلق الباب فيأتيك من النافذة . تحسبه بالداخل بينما هو فى الخارج . أليس هو فيجارو مضرب المثل فى الخفة والمهارة؟ أليس هو فيجارو الذى يعرف كيف يستفيد لا من أغلاطه فحسب بل ومن أغلاط الآخرين ؟ » [١]، لكننا حين نعود إلى كالفيه نجد أن كاتبنا المصرى لم يفعل شيئا أكثر من أنه فتح كتاب المؤلف الفرنسى ونقل ما فيه مع شىء من الاضطراب فى نسخ بعض العبارات. يقول كالفيه : « ها هو ذا فيجارو ، كما سيكون طوال حياته، يتوقد نشاطًا ويقفز ولا يعرف السكون ، حتى إنه لأسهل على الإنسان أن يمسك وهو عابر بنغمة من قيثارته . وليس له من الوجود أكثر مما للأغانى التى يدندنها . إنه يدخل ويخرج دون أن يعرف الإنسان كيف. وعندما تكون الأبواب مغلقة فإنه يتسلق من خلال النافذة . وهو يكون بالداخل بينما يعتقد الناس أنه بالخارج . وله من المرونة والنشاط ما يمكّنه من الاستفادة من أخطائه مثل استفادته من أخطاء الآخرين»[٢] . صحيح أن د. مندور يصف « الأغانى » بأنها الأغانى « التى تشيع فى الفضاء » ، على حين أنها فى الأصل

(١) ص ٣١ .

(2) t. I. p. 182 .

الفرنسى « الأغانى التى يدندنها فيجارو » ، وصحيح أيضاً أن مندور يقول: « تراه فى المنزل فلا تدرى من أين دخل » بينما فى النص الفرنسى : « إنه يدخل ويخرج دون أن يعرف الإنسان كيف » ، بيد أن هذا أمر غير ذى بال . أما الذى أريد لفت النظر إلى ما أصابه الاضطراب من كلام مندور فهو قوله : « تحسبه بالداخل بينما هو فى الخارج » ، الذى عكس الوضع ، إذ إن الأصل الفرنسى يقول ما معناه أن فيجارو يكون بالداخل على حين يظن الناس أنه بالخارج . ومثلُ ذلك الجملةُ الأخيرة فى النصين : فاستفادة فيجارو من أخطاء الآخرين هى الأصل فى النص الفرنسى ، ثم قيست عليها استفادته من أخطائه هو ، أما عند مندور فالعكس .

وتبقى الاستشهادات التى يوردها د. مندور ، وهى فى الواقع لا تخرج عمّا نقله كالڤيه فى كتابه من المسرحية المذكورة . وقد سبق أن سقنا أحد هذه الاقتباسات الذى يبدأ بقول فيجارو : « هو طالعى السعيد يا مولاى » . وهناك نص آخر من أربعة أسطر فى أول ص ٢٩ من النص العربى عبارة عن حوار بين الكونت وفيجارو ، وهو موجود عند كالڤيه فى منتصف ص ١٨٩ ، ويشغل أربعة أسطر أيضاً . أما النص الثالث الموجود فى أوائل ص ٣٢ عند د. مندور ، وأوله قول الكونت : « لماذا يلوح على كل ما تفعل شىء من الالتواء ؟ » ، فيستطيع القارئ أن يعثر عليه بدءاً من الفقرة الثالثة من ص ١٩٠ فى الجزء الثانى من الكتاب الفرنسى . ويبقى الاستشهاد الرابع والأخير فى كتاب مندور ، وهو يبدأ مع بداية الصفحة الثالثة والثلاثين ، التى يكاد أن يستغرقها كلها. وهذا الاستشهاد موجود فى ص ١٩١ من الجزء الثانى من النص

الفرنسى ، وإن كان هناك أطول منه عند مندور ، لأنه لم ينقله من كالڤيه كاملا بل أسقط كثيرا من عباراته .

هذا ما أخذه مندور من كالڤيه فى الفصل الخاص بنموذج « فيجارو » ، وهو يكاد أن يكون كل شيء ذى قيمة فى هذا الفصل، أما الباقى فلا يقدم أو يؤخر ، أو على الأقل لا يقدم ولا يؤخر كثيرا ، فما هو فى الواقع سوى بعض الجمل المنثورة هنا وهناك مما لا دخل له فى صلب الموضوع أو أفكاره الرئيسية .

* * *

أما بالنسبة لنموذج « ألْسِسْت » فالسطران الأولان اللذان يبدأ بهما مندور الفصل الخاص به هما هما ما جاء فى الفقرة الأولى الصغيرة عند كالڤيه : فمندور يقول : « ألْسِسْت بطل كوميديا لموليير اسمها « عدو البشر » ، ولكن هذا العنوان لا يستنفد كل ما اجتمع لتلك الشخصية من صفات » [١] ، وهو نفسه ما يقوله كالڤيه موسّعا بعض الشيء ، وهذا هو نص كلامه : « لقد جعل موليير عبارة « عدو البشر » عنوانا للمسرحية التى يملؤها ألسست بحضوره وكلامه المتهيّج ، إلا أن هذه التسمية لا تستغرق كل شخصيته التى تشبه الحياة فى تعقيدها وامتلائها بالتقابلات والتناقضات »[٢] . وكما يرى القارئ

(١) نماذج بشرية / ٨٤ .

(2) les Types Universels, t. II, p. 23 .

لم يأت الدكتور مندور بشيء هنا سوى أنه لخص فكرة كالڤيه . ثم يلي ذلك عنده السؤال التالي : أيهما أفضل : « أن نحيا حياة ألسست موطّدين العزم على ألا نقول إلا ما نؤمن به بل وأن نقول كل ما نؤمن به ولو كان في ذلك شقاؤنا وأصبحنا به موضع سخرية الناس أجمعين أم نصانع الناس ونداريهم ونتنزل على مواضعاتهم الاجتماعية مهما يكن خلفها من ملَقٍ ونفاق كما فعل فيلانتِ صديق ألسست في نفس المسرحية ؟ » ، وهو موجود بالمعنى عند كالڤيه في الفقرة الثانية من ص٢٣ ولكن موسّعا أيضا ، وهذا هو نص كلامه : « ألسست رجل نبيل دخل إلى الحياة بضمير نقي سليم ثابت على مبادئه . وقد أخذ العهد على نفسه ألا يقول الكذب في أية صورة من صوره مهما يكن الأمر بل ينطق بالحق في جميع الأحوال . لقد رأى أن الكذب أصبح فاشيا وأن هتْك أقنعته هو عمل لا يصل الإنسان منه إلى نهاية . وكذلك لاحظ أن قول الصدق هو ، في نظر قطاع كبير من الخلق ، بمثابة تعريض النفس للاغتيال . ورغم أنه كان لا يزال شابا صغيرا فقد كان عنده الوقت الكافي للمعاناة من موقفه هذا . بيد أنه ، لصلابة طبعه ، ظل متمسكا بقوةٍ بمبادئه التي كانت سببا في هذه المعاناة » . وبعد قليل سوف نرى مندور ينقل هذا الكلام بنصه ، وذلك بدءا من السطر الثاني من الفقرة الثالثة في ص ٨٧ حين يقول : « دلف إلى الوجود بضمير نقي صلب ، وقد وطد النفس على مطاردة الكذب أنى

كان ، وعلى الجهر بالحق فى كل مجال . ولم يغب عنه أن الكذب ملء الآفاق وأن مهاجمته تتطلب جهدا لا ينقضى . ولقد حدَّث عما فى قول كل الحق من خطورة على قائله وعلى الغير ، ولكن قوة ضميره تأبى أن تلين » . وكما ترى فالكلام واحد ، وإن كانت ترجمة مندور أكثر حرية (أو قل : أقل دقة) فى الجمل الأخيرة .

ثم يمضى مندور فيتحدث عن وقوع ألسِسْت فى غرام سيميلين اللعوب المتصنعة الكلمات والإشارات والأصباغ والتى هى بمثابة أكذوبة تتحرك ، وعن سخطه على نفسه لوقوعه فى مثل هذا الحب الذى هو خيانة لمبادئه . وهو نفسه ما يقوله كالڤيه فى الفقرة الرابعة من ص ٢٣ بقضه وقضيضه .

بعد هذا يبدأ كالڤيه فى تلخيص أحداث المسرحية ، ويمشى مندور فى أثره خطوة خطوة مرددا ما يقوله وبنفس الطريقة ، إلى أن يصل الأمر إلى استشهاد بنصّ من المسرحية فيستشهد به هو أيضا ناقلاً التعليقات التى يزجّها كالڤيه بين الحين والحين كما هى[1] . كل ما هنالك أن كالڤيه يتوسع فى القول دائما ، ومندور يقتصد فيه أحيانا ، كما أن كالڤيه يتطرق إلى أعمال أدبية أخرى تدور حول شخصية مثل

(١) راجع من أول ص ٢٤ من الجزء الثانى فى النص الفرنسى ومن أول ص ٨٨ فى «نماذج بشرية» .

شخصية ألسست ، وهو ما لا يفعله مندور .

وعلى الناحية الأخرى نجد عند مندور فى ص ٨٤ ـ ٨٥ مثلا فقرة طويلة بعض الطول تليها فقرة قصيرة لا يقابلهما شيء فى كتاب كالڤيه ، وهما الفقرتان اللتان تبدأ أولاهما بالجملة التالية : « ولو أننا سألنا موليير نفسه جوابا للزم الصمت قائلا : دونكم وقائعَ الرواية ... إلخ » . والحق أنى لا أدرى كيف يلزم موليير الصمت وفى نفس الوقت ينطلق مجيبا عن سؤالنا فى ما يزيد عن عشرين سطرا . وعلى كل حال فما قاله الدكتور مندور فى هاتين الفقرتين هو كلام عام لا يخرج فى فحواه غالبا عما جاء فى تحليل كالڤيه لشخصية ألسست .

* * *

ونصل إلى ما كتبه مندور عن نموذج راستنياك ، وهذه هى ملاحظاتى بشأن المقارنة بين ما قاله وما وجدته عند كالڤيه :

١ ـ حذف مندور الإشارة إلى سوريل الموجودة فى النص الفرنسى وكذلك المقارنات التى عقدها كالڤيه بين شخصيته وشخصية راستنياك .

٢ ـ بعد أن انتهى مندور من نقل النص الفرنسى الذى اقتبسه كالڤيه من رواية " Le Père Goriot " لبلزاك مضى فنقل كلام كالڤيه فى التعقيب على هذا النصّ كأنه كلامه هو [(١)] .

(١) ص ٩٥ ـ ٩٦ من الجزء الثانى فى النص الفرنسى ، وص ١٤٧ فى كتاب مندور . وكلام كالڤيه يبدأ من أول الفقرة الثانية فى ص ٩٦ ، وهو عند مندور يبدأ من نهاية السطر السابع من أسفل ص ١٤٦ ، وأوله: « وكان راستنياك شابا حاد الذكاء عالما بذكائه ... » .

٣ ـ وهو نفس ما فعله مع التعليق الذى كتبه كالڤيه على نص آخر لبلزاك [١] .

٤ ـ ومثلُ ذلك الكلامُ الذى يبدأ من منتصف الفقرة الثانية من ص ١٠٥ فى كتاب كالڤيه ، إذ نجده بمعناه فى الفقرة الثانية من ص ١٥٤ وما يليها من فقرات حتى منتصف الفقرة الثانية فى الصفحة التى تلى ذلك من كتاب مندور ، الذى اكتفى هنا بتلخيص كلام الأستاذ الفرنسى دون أن يضيف إليه شيئا .

٥ ـ كذلك فالنص المقتبس من رواية بلزاك فى الفقرة الأخيرة من ص ١٠٥ فى الأصل الفرنسى موجود بعينه فى « نماذج بشرية » بدءا من منتصف الفقرة الثانية من ص ١٥٥ دون أن يزيد فيه مندور أو ينقص منه شيئا .

٦ ـ ثم إن الفقرة الثانية من ص ١٥٤ فى كتاب مندور مأخوذة بنصها تقريبا من الفقرة الثانية فى ص ١٠٧ من كتاب كالڤيه .

٧ ـ وهناك نص مقتبس آخر من رواية بلزاك فى كتاب كالڤيه (أسفل ص ١٠٧) نقله مندور كما هو (أسفل ص ١٥٤ عنده) ، وهو يتمثل فى الخطابين المتبادلين بين راستنياك ومدام دى نوسنچان .

---

(١) قارن الفقرة الأولى من ص ٩٨ من الجزء الثانى فى الأصل الفرنسى والفقرة الثانية من ص ١٤٨ فى كتاب مندور

٨ ـ كما يردد مندور أيضا فى أوائل الفقرة الثانية فى ص ١٥٥ من « نماذج بشرية » حديث كالفيـه عن شخصية راستنياك ورغباته وإقدامه .

٩ ـ وأخيرا وليس آخرا فإن السطور الثلاثة التى تنتهى بها الفقرة الأولى فى ص ١٤٣ من كتاب مندور موجودة بنصـها فى الأصل الفرنسى فى الفقرة الثانية من ص ١٠٩ .

* * *

أما « ترتران الترسكونى » (بطل ثلاث من قصص الكاتب الفرنسى الشهير الفونس دوديه) فليس الفصل الذى خصصه له د. مندور فى مجمله إلا خلاصة الفصل المناظر له فى كتاب كالفيه مع الاحتفاظ بعدد غير قليل من عبارات الأستاذ الفرنسى بنصها . أما الاقتباسات التى أوردها كالفيه فلم ينقل منها مندور شيئا بنصه فى كتابه مكتفيًا بتلخيص ما جاء فيها عند الحاجة إليه . والملاحظ أن الفصول الأخيرة فى كتاب مندور أصغر من فصوله الأولى . ويبدو أنه كان قد ملّ النقل الحرفى لفقرات كالفيه واقتباساته فآثر النقل المختصر لأفكار الرجل ، وإن كانت عادة السطو على عبارات كالفيه لم تفارقه تمامًا . ولنعط بعض الأمثلة على ما نقول :

ففى ص ٢١٦ من كتاب د. مندور نسمعه يتحدث عن شهرة

اسم ترتران بين مثقفي العالم منذ أن خلق شخصيته ألفونس دوديه مصورا من خلالها جانبًا من أخلاق البروفنسيين في جنوب فرنسا ، وهو جانب الثرثرة والزهو وادعاء البطولة الفارغة ، وكيف أنه بذلك قد أغضب هؤلاء القوم الذين أكد لهم معتذرا أن هذا لا ينفي ما يتمتعون به من خصائص روحية وشعرية .

وهذا الكلام هو هو نفسه قد قاله كالڤيه في الصفحتين ٢٣٧ ـ ٢٣٨ من الجزء الأول من كتابه . وليرجع القارئ إلى الكتابين ليقارن بنفسه بين الكلام هنا وهناك ، ولسوف يجد مصداق ما نقول . ولقد حافظ مندور على بعض عبارات كالڤيه بنصها ، مثل قوله : « لا نظن أن اسم ترتران مجهـول من أحد من المثقفين ... منذ أن ... خلق منه (ألفونس دوديه) أنموذجا حيا لذلك النوع من الناس الذين لا يعرفون غير الثرثرة والزهو وادعاء البطولة ... والحق أن ترتران لقهقهة في فم الزمن ، وقصته إن هي إلا قصة فشّار يعتقد أنه من قتلة الأسود فيبحر ذات صباح إلى الجزائر بشمال إفريقيا ليصطاد عددا منها ثم يعود فخورا مزهوا ، مع أنه لا يحمل غير جلد أسد واحد أعمى أصيب بكساح من النقرس ومات في إحدى الحظائر ... إلخ » . فهذا الكلام يكاد أن يكون مأخوذا بنصه وفصّه من كالڤيه ، مع إضافة كلمة « بشمال إفريقيا » بعد كلمة « الجزائر » (وهي غير موجودة في النص الفرنسي) وتغيير كلمة « منتصرا: triomphant » إلى « فخورا مزهوا » ،

والخطإ فى ترجمة " un lion de ménagerie, aveugle et rhumatisant " التى تحولت فى لسان الضاد إلى « أسد أعمى أصيب بكساح من النقـرس ومـات بإحدى الحظائر » ، على حين أن معناها « أسد من أسود السيرك أعمى مصاب بالروماتيزم » . وهكذا استحال السيرك عند د. مندور فأصبح حظيرة ، كما أن تشخيصه لآلام الأسد المسكين يختلف عما قرره دوديه ، إذ نسبها إلى النقرس رغم تشخيص المؤلف الفرنسى لها بأنها روماتيزم . وبالمناسبة فقد وقع د. مندور فى غلطة نحوية مضحكة ، وذلك فى قوله : « تلكما الشخصيتين » [١]، وصوابها « تينِّك الشخصيتين » . ووجه الخطإ فـى هـذا هـو أنه ثنّـى حرف الخطاب « ـكُمَا » وأبقى على اسم الإشارة مفردا ، بينمـا الصواب هو العكس .

كذلك ففى وصف كالڤيه لتسلق ترتران وصديقه الجبل مربوطين فى حبل واحد نجد هذه العبارة " Chacun croit que l'autre est en train de rouler aux abîmes . Alors, geste sublime, tous les deux, en même temps. avec la même spontanéité, ils coupent la corde et tombent, l'un en France, l'autre en Italie "[٢] ، ومعناها : « ظن

(١) ص ٢١٧ .

(2) t. I, p. 246 .

كل منهما أن الآخر يهوى الآن من حالق . وعندئذ ، وفى بادرة عظيمة ، قام الاثنان فى نفس الوقت ، وبتلقائية واحدة ، بقطع الحبل فسقطا : أحدهما فى فرنسا والآخر فى إيطاليا » ، لكننا نقرؤها عند مندور على النحو التالى : « أخذ كل منها يحدث نفسه بقطع الحبل لينجو بحياته حتى انتهى بهما الأمر إلى قطعه فى وقت واحد ، وإذا بأحدهما يتدحرج فى أرض فرنسا والآخر فى أرض إيطاليا » [١] ، وذلك رغم أنه لا يوجد فى النص الفرنسى أن أيا منهما قد حدثته نفسه بقطع الحبل لينجو بحياته .

وعندما يشبّه كالڤيه الأميرة ليكيريكى[٢] (بنت نيجونكو ملك سكان جزيرة البولونيزياوان المتوحشين) بإحدى إناث القردة التى تسكن أعالى الأشجار ، يظن د. مندور أن الأميرة هى أيضًا تسكن أعالى الأشجار مثل هذه القردة . وهذان هما النصان : الفرنسى والعربى ، أسوقهما كما هما بين يدى القارئ :

" Il épouse la fille du roi sauvage, la princesse Likiriki, une sorte de guenon malpropre qui habite plus particulièrement au sommet des arbres "[٣] .

« وتزوج من بنت الملك المتوحش الشديدة الشبه بالقردة حتى

(١) ص ٢١٩ .

(٢) التى تزوجها ترتران .

(3) t. I, p. 2-

في اتخاذها أغصان الأشجار مأوى لها » (١).

* * *

وبعد « ترتران الترسكونى » يأتى نموذج « چوليان سوريل » ، الذى أخذ مندور ما كتبه عنه كالڤيه من أن أحداث حياته هى نفسها أحداث حياة ستندال مؤلف الرواية الذى يمثل دور البطولة فيها بما فى ذلك فقدان عطف الأم والشقاء بقسوة الأب ، وأنه فى الواقع رمز لأحلام ستندال ، إذ حقق فيه ما عجز هو عن تحقيقه فى حياته ، وأن ستندال كان ممن يدينون بمبدإ القوة الذى تنم عنه كل رواياته (٢).

كذلك فإن النصوص التى استشهد بها مندور والوقائع التى لخصها من حياة سوريل لا تخرج فى شيء تقريبا عما فى كتاب كالڤيه ، وإن كان الكاتب الفرنسى قد توسع كالعادة أكثر مما فعل مندور . وبالمثل نجد عند مندور ، كما عند كالڤيه ، كلاما عن الثورة الفرنسية ونابليون . إلا أن فى كتاب مندور ثلاث فقرات لا يوجد نظير مباشر لها فى كتاب الأستاذ الفرنسى ، وهى الفقرتان الأُولَيان فى هذا الفصل (٣) والفقرة الأخيرة منه (٤) . وفى الفقرتين الأُولَيَيْن يتحدث

(١) ص ٢١٩ .

(٢) قارن الفقرة الثانية فى ص ٨١ من الجزء الثانى عند كالڤيه بالفقرتين قبل الأخيرة من الفصل الخاص بـ « سوريل » فى كتاب مندور / ص ١١٩ _ ١٢٠ .

(٣) ص ١١١ _ ١١٢ .

(٤) ص ١٢٠ .

مندور عن النفوس الممتازة الموهوبة التى تجد نفسها محرومة مما ينبغى لها من حقوق بسبب الوصولية والمحسوبية وما إليهما من ألوان الفساد السياسى والاجتماعى ، أما فى الفقرة الأخيرة فيحاول أن يجيب على السؤال التالى : « بم تحكم على جوليان ؟ » . وفى الجواب عنه نراه يؤكّد أنه لم يكن خسيسا ولا شريرا بالفطرة بل كان حييا متواضعا، بيْدَ أن الجماعة التى عاش بينها قد احتقرته فانتقم منها ، إلا أن وسائل هذا الانتقام مما لا تطمئن إليه النفوس ، وبالذات حين أصابت من كانوا يعطفون عليه .

وهكذا فإن أَخْذَ مندور من كالڤيه فى هذا الفصل ليس بنفس القوة التى نجدها فى الفصول الثلاثة السابقة .

* * *

وفى الفصل المخصص لنموذج « بتلان » (الذى أوثر أن يكتب بـ « الطاء » لا بـ « التاء » ليوحى بالبُطْلان الذى يسود أفكاره وتصرفاته) لا نكاد نجد شيئًا يستقل به مندور عن چان كالڤيه ، إذ قد تتبعت كل الفقرات التى تشكّل هذا الفصل فوجدتها كلها تقريبا منقولة عن الأستاذ الفرنسى ، اللهم إلا فقرتين أو ثلاثا هى أشبه ما يكون بتلخيص ما قاله كالڤيه فى عبارات عامة . ولنبدأ من البداية :

ففى الفقرة الأولى من ص ١٣٥ يخبرنا د. مندور بتاريخ ظهور المسرحية الهزلية التى بطلها « المسيو بطلان » وتاريخ نشرها ، والاختلاف حول مؤلفها من هو : أهو فرانسوا فيون أم جيوم دى

لوريس أم أنتوان دى لاسال ؟ وهذا كله مأخوذ من كالفيه دون أدنى إضافة ، إلا أنه عند مندور أوجز قليلاً مما فى الأصل الفرنسى . ثم إننا، فى الفقرة الثالثة من نفس الصفحة عند مندور ، نجده يقول إنه قد بلغ من نجاح الأستاذ بتلان أن أصبح اسمه من مفردات اللغة الفرنسية ، فيوصف الرجل بـ « أنه بتلان : C'est un Pathelin » ، أى ماكر. ومن الاسم اشتُقَّ فعلٌ كما اشتُقَّ مصدر ، فيقال : « patheliner : يُتَلِّن » ، و « pathelinage : بتْلَنَة » بمعنى « يَمْكُر » و « مَكْر » . وهذا بنصه موجود عند كالفيه ، الذى يقول ما ترجمته : « إن اسم بطلان يمثل نمطا معينا من الحياة والتفكير والتصرف تمثيلاً بلغ من دقته أن تحول هذا العَلَم إلى اسم جنس فقيل : « إن فلانا بطلان : C'est un Pathelin » . ولقد أُخَذَت الكلمةُ تدل على بعض الشيات الخاصة لدرجة أنها أصبحت مصدراً لبعض الكلمات الموحية مثل « patheliner : يُطَلْن » و « pathelinage : بَطْلَنَة»[1].

ومنذ الصفحة الثانية من الفصل الذى كتبه مندور حول هذا النموذج نراه يلخص أحداث المسرحية ناقلاً بين الحين والحين بعضا من الحوار الذى يدور بين أبطالها ومعلّقًا ببعض العبارات التى توضح تصرف هذه الشخصية أو تفسّر كلام تلك . وهو نفسه ما نجده فى

---

(1) t. I, p. 34 .

كتاب كالفيه ، وإن كان كالفيه كالعادة أكثر تفصيلا . وإلى القارئ بعض الأمثلة على صدق ما نقول :

فمثلا الكلام الموجود فى الفقرة الثالثة من ص ١٣٦ عند مندور هو نفسه موجود فى الفقرة الثانية من ص ٣٦ من الجزء الأول عند كالفيه بما فيه النص المقتبس من المسرحية وتعليقات المؤلف الفرنسى . ومن ذلك قول مندور عن بطلان إنه « انطلق إلى السوق يتحسس فرائسه » ، فهو تعريب لعبارة كالفيه التالية : " Et voilà Pathelin qui part pour la foire , le nez en l'air pour flairer de loin des dupes " . ومثل ذلك قول مندور عن بطل المسرحية إنه فنان فى المكر ، إذ يقول كالفيه هو أيضاً : " Pathelin est un artiste " .

وبعد أن يذهب مسيو بطلان إلى السوق ليوقع بأحد المغفلين يقول د. مندور : « وسبيل بتلان إلى ما يريد هو ما ذكرت من فن المكر . عليه أن يختلس ثقة السيد جيوم »[1] ، وهو مأخوذ من قول كالفيه : " Il lui faut d'abord inspirer confiance "[2] . وبعد ذلك نجد هنا وهناك نفس الاقتباس دون زيادة أو نقصان سوى أن مندور يختمه بكلمة « ... إلخ » التى لا وجود لها عند كالفيه ،

(١) ص ١٣٧ .

(2) t. I. p. 37 .

وكأنه يريد إيهامنا بأنه ينقل من المسرحية ذاتها . ثم نقرأ عقب هذا نفس الكلام عند مندور وعند كالفيه ، ذلك الكلام الذى ينتهى بهذه العبارة فى النص العربى : « وكان هذا أول نصر أحرزه الأستاذ » [١]، وبتلك فى النص الفرنسى : " C'est une première victoire"[٢].

وعند انتهاء قصة بطلان بنجاحه فى خديعة جيّوم تاجر القماش يعلق مندور قائلاً : « بهذه الخاتمة كان من الممكن أن تنتهى القصة ... ، ولكن القصة فيما يظهر كانت شعبية الأصل ، والشعب يعلم أن المكر السيء لا يحيق إلا بأهله ... ، وإذن فلا بد للقصة من خاتمة أخرى ينال فيها بتلان جزاءه . ومن ثم تصوّر المؤلف حادثة أخرى من الممكن أن تكون قصة بذاتها ، واتخذ منها خاتمة بتلان وجزاءً لمكره السيء » [٣]. فإذا راجعنا كالفيه وجدنا يقول : " La pièce pourrait finir là et ce serait le triomphe insolent de la fourberie patheline . Mais l'auteur qui n'est pas un amuseur vulgaire veut nous donner d'autres leçons. Il a inventé une seconde intrigue savamment mêlée

---

(١) ص ١٣٧ .

(2) t. I, p. 37 .

(٣) ص ١٤٠ ـ ١٤١ .

à la première qui nous montrera de nouvelles ressources dans le pathelinage et une conséquence inattendue de la ruse trop rusée "[1] .

ويقـول د. منـدور معقبا على خـداع المتهم للمحامى بطلان : « على هذا النحو يكون المكر قد انتصر مرة أخرى ، وبذلك تظل غريزة العدل غيـر راضية . والشعب حريص على العدل حتى فى مهازل المسرح » ، ثم يضيف بعد ذلك بقليل قائلا : « وقد تعلّم بتلان درسا صفق له الشعب أشد التصفيق ، إذ وجد الماكر يُمْكَر به » [٢]. وعند كالڤيه نقرأ الآتى : " Ainsi s'excerce une sorte de justice immanente qui venge la morale outragée . Ah ! Certes, la morale reçoit de rudes atteintes dans cette farce, et ce n'est pas l'honnêteté qui l'emporte en définitive; mais le trompeur est trompé. le gabeur est gabé, et cela suffit à l'instinct populaire pour donner satisfaction à son vague desir de justice " [٣] . ومقارنة سريعة بين النصين تطلعنا على أن مندور لم يأت بشىء من عنده .

---

(1) t. I. p. 49 .

(٢) ص ١٤١ ـ ١٤٢ .

(3) t. I. p. 58 .

ومما يلفت النظر أن مندور لم يخرج فى نماذجه المستقاة من الأدب الفرنسى عما هو موجود عند كالڤيه ما عدا نموذج «فيليسيتيه» لفلوبير ، إذ لم أجده فى كتاب المؤلف الفرنسى .

والآن وبعد هذا التحليل وتلك المقارنة اللذين أثبتنا بهما أن مندور قد أخذ معظم ما كتبه فى « نماذج بشرية » عن بعض شخصيات الأدب الفرنسى من كالڤيه ، فإن الإنسان ليتعجب غاية العجب حين يرى مندور يتحدث منذ وقت مبكر فى زهو وأستاذية عن الشخصيات التى « حلّلها » فى كتابه ذاك [١] . ترى ما سرّ هذه الثقة فى أن أحدا لن يكتشف سرقته ؟ هل كان يتصور أنه الوحيد الذى يعرف الفرنسية أو أن من يعرفها لن تضع الأقدار فى يده كتاب چان كالڤيه أو أن الذين سيعرفون السرّ لن يفضحوه أو أنه قادر على أن يستخدم سلاح « الهجوم خير وسيلة للدفاع » ؟ الحق أنها مسألة ملغزة ومحيرة ! لكن مندور مع ذلك لم يكن ولن يكون أول من يسطو ويتباهى بالأصالة ، فكلنا بشر . لكن رغم هذا فإن قليلا من الحياء والتواضع مطلوب !

---

(١) انظر ردّه على سيد قطب تحت عنوان « إيضاح أخير » فى كتابه « فى الميزان الجديد » / ١٠٣ .

أما إذا أراد بعضٌ أن يلطّف هـذا السطـو فيقـول إنه « تأثّـر » أو « توارُد خواطر » فهو خرٌ ، لكن هذه التسميات المخففة لن تطمس معالم الجريمة ، فإن مندور قد سطا على كتاب كالڤيه فى هذه النماذج السبعة على الأقل إما سطوا صريحًا نقل فيه النصّ كما هو أو بعد أن لخّصه دون أن يضيف من عنده شيئا يُذْكَر ، وإن كان قد قدّم وأخّر فى مواضع الفقرات التى أخذها .

ويكتب نعمـان عاشور أحدُ تلامذة مندور فى الجامعة وأحدُ خوارييه عن شعور منـدور نحو كتـاب « نمـاذج بشريـة » فيقـول إنه « كان يعتزّ به أكثر من اعتزازه بأى عمل آخر من أعمـاله » ، وإنه كـان يعتبره مـن أعظم ما كتب ، ومع ذلك كان يسميه : « سقط المتاع »(١) . وأعتقد أن مندور كان يتظاهر أمام هذا التلميذ المتفانى فى حب أستاذه وتقديره بالتواضع ليزداد التلميذ به تعلقا وبالكتاب إشادة . والعجيب أن عاشور قد كتب هذا بعد أن نُشرت مقالتان فى بعض المجلات العربية تتهمان مندور بأخذ نماذجه من كالڤيه ، ومع ذلك لا يجد هذا الحَوَارِىَ أى داع لمناقشة القضية . والسبب هو ، فيما أظن ، الرغبة فى إماتتها بالصمت والتجاهل .

---

(١) نعمان عاشور / مع الرواد / ٦٤ .

على أن الأمر يزداد إيغالا فى الغرابة عندما يدرس باحثٌ مغربىٌ مندور الناقدَ للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة باريس ، أى فى بلد كالڤيه المسطوّ عليه وتحت إشراف عالم من علماء ذلك البلد كان ينبغى أن تدفعه الغيرة الوطنية ، إن لم تكن الرغبة فى التحقيق العلمى ، إلى توجيه تلميذه الذى يشرف عليه لدرس هذه المسألة ، ومع ذلك فلا التلميـذ (محمد برادة) ولا المشرف (أندريه ميكل) قد شعر بأية رغبة فى مثل ذلك التحقيق العلمى رغم أن باحثا جامعيا[1] قد اتهم د. مندور مرتين فى مجلتين مختلفتين تصدران فى بلدين عربيين (هما « الرسالة الجديدة » القاهرية ، و « الأقلام » البغدادية) وبتاريخين متباعدين مما يجعلها فضيحة مدوّية . فكيف فات هذا كلُّه المستشرقَ الجليلَ وتلميذَه الأمين ؟ ليخبط من كتب فى هذا الموضوع رأسه إذن فى أقرب جدار ، وليشرب من البحر ! [2]. وإن هذا ليذكرنى بالموقف

---

(١) هو الأستاذ عبد المطلب صالح كما سبق القول . ودعنا الآن من المستشرقة الإسبانية ، إذ لم يعيّن د. عبد اللطيف عبد الحليم التاريخ الذى ظهرت فيه دراستها السالفة الذكر .

(٢) ذكر محمد برادة فى مقدمة كتابه عن « محمد مندور وتنظير النقد العربى » أنه كان فى الأصل أطروحة جامعية كتبها بالفرنسية تحت إشراف الأستاذ أندريه ميكل للحصول على دكتوراه السلك الثالث من جامعة باريس (دار الآداب / ١٩٧٩م / ٧) . وقد يعطينا فكرة عن قيمة مثل هذه الرسالة ما قاله لى الدكتور الطاهر مكى مرارا من أن الدكتوراه التى من هذا النوع ليست دكتوراها حقيقية بل مجرد شهادة تثبت صلاحية صاحبها لإعداد رسالة الدكتوراه .

المريب الذى اتخذه مرجليوث من طه حسين عندما اغتصب هذا نظرية ذاك فى إنكار الشعر الجاهلى وشعرائه ونَسَبها لنفسه بعد أن أدخل عليها بعض التحوير الذى لا يمس جوهرها فى شئ . لقد انبرى مرجليوث يدافع عن الدكتور طه ويدّعى كذبا أنه قد أخرج بحثه فى نفس الوقت تقريبا الذى نشر فيه هو دراسته عن « أصول الشعر العربى » (١). يريد أن يبرئه بهذا الكلام رغم أن براءة طه حسين لا معنى لها إلا أن تضيع على ذلك المستشرق الريادة فى القول بهذه النظرية. وهو زهد غريب ومريب ، بيد أن الهدف الأبعد من وراء تلك التبرئة أهم عند مرجليوث وأمثاله من هذه الريادة ، ألا وهو إنقاذ أحد دعاة الثقافة الغربية ومدّاحى المستشرقين والمدافعين عن خطاياهم الفكرية فى بلادنا . وكل ما قاله برادة فى « نماذج بشرية » هو أنها « مقاربة إبداعية » وأن مندور « يريد أن يعيننا على سَبْر أغوار النفس البشرية من خلال تصنيفها ، على غرار ما حاول الناقد سانت بوف فى اتخاذه النقد الأدبى أساسا للعلم الأخلاقى » (٢) .

ويشبه هذا الكلام ما كتبه فؤاد قنديل فى كتابه « محمد مندور شيخ النقاد » ، إذ وصف هذه النماذج بأنها دراسة « لا تخلو من خَلْق

---

(١) انظر فى هذه المسألة كتابى « معركة الشعر الجاهلى بين الرافعى وطه حسين - بحث موضوعى مفصل » / مطبعة الفجر الجديد / ١٩٨٧م/ ٦٤ وما بعدها .

(٢) محمد برادة / محمد مندور . [illegible]ير النقد العربى / [illegible] - ١٤٨ .

غَذَّتْه موهبة وثقافة واسعة »[١] . أما أحمد محمد عطية صاحب العبارات الإنشائية الطنّانة[٢] فقد ذكر أن مندور فى كتابه ذاك « قد خلق النقد خلقا إبداعيا وثوريا ودفع برؤاه النضالية الشجاعة بين سطور نقده»[٣]. وكان أولى بهذين الباحثين أن يحاولا معالجة التهمة المصلتة كالسيف على رأس مندور بدلاً من إدارة أعينهما بعيدا عنها . أما ما كتبته السيدة ملك عبد العزيز فى مقدمة كتاب زوجها الدكتور مندور مدحا للكتاب وثناء مغاليا عليه فيغنينا عن مناقشته ما سبق أن قلناه فى هذا الفصل .

وبالنسبة لحكاية « الخلق » و « الإبداع » هذه فربما كانت السيدة ملَك عبد العزيز هى المسؤولة عنها ، فقد وصفت النماذج البشرية التى تحمل اسم زوجها بأنها « خَلْـق » . وقـد عللت ذلك بمـا تدّعيها لها مـن « صياغة مُحْكَمة أصيلـة وأسلوب حار يضمنان لها الخلود كعمل فنى »[٤]. وهـى تستشهـد على أسلوب مندور بعبارات مثل وصفه لسيميلين (فى مسرحية موليير) بأنها « أكذوبة

(١) فؤاد قنديل / محمد مندور شيخ النقاد / ٨٧ .

(٢) انظر الفصل الذى كتبته عن منهجه الإنشائى التحريضى فى النقد فى كتابى « نقد القصة فى مصر ١٨٨٨ - ١٩٨٠م » / مكتبة زهراء الشرق / ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م / ٣٤٧ - ٣٥٦ .

(٣) انظر مقاله « مندور ثوريا » بمجلة « أدب ونقد » (العدد ١٢) / إبريل ومايو ١٩٨٥م/ ٩٢ .

(٤) انظر المقدمة التى كتبتها لكتاب « نماذج بشرية » / ١٣ .

اجتماعية تتحرك » [١] ، مع أن هذا الكلام هو لكالڤيه كما بيّنتُ من قبل ، وهذا هو نصه بالفرنسية : " Elle est un mensonge vivant, le chef-d'œuvre du mensonge social"[2] . وإذا كانت السيدة ملك تؤكد أن هذا الوصف وحده هو الذى ينطبق تمام الانطباق على امرأة كسيميلين « كان فى حركات وجهها وابتسامات شفتيها وجرس ألفاظها من التكلف والصنعة قدر ما فى ألوان وجهها وأصباغ شعرها » [٣] ، فإننا من جهتنا نؤكد أيضا بل نقسم بالله العظيم ثلاثا على أن هذا الكلام هو لكالڤيه ، وأن الدكتور مندور لم يفعل أكثر من أنه ترجمه ثم نسبه إلى نفسه دون وجه حق . وهذه هى عبارة كالڤيه فى أصلهـا الفرنسـى : " Ses mines, ses sourires, ses mots sont factices comme son teint et comme ses cheveux " [٤].

* * *

هذا عن التهمة الموجهة إلى الدكتور منـدور فيما يخص كتاب « نماذج بشرية » وتمحيصـهـا . وهنـاك اتهـام آخر له بخصـوص

---

(١) المرجع السـابق / ١٤ .

(2) Les Types Universels, t. II, p. 23 .

(٣) مقدمة « نماذج بشرية » / ١٤ .

(4) Les Typ niversels, t. II, 23

محاضراته عن إبراهيم المازنى التى نشرها له معهد الدراسات العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية سنة ١٩٥٤م ، وإن لم يكن اتهاما صريحًا للدكتور مندور بالاسم كالاتهام السابق . وصاحبته هى د. نعمات أحمد فؤاد ، التى كانت قد حصلت على درجة الماچستير فى الأدب العربى برسالة فى نفس الموضوع نشرتها قبل محاضرات مندور ، ثم لما أعادت نشرها بعد الطبعة الأولى بنحو سبع سنين(١) كتبت فى مقدمتها عما سمته بـ « ما حدث للطبعة الأولى من إغارة ومسخ » مبديةً ألمها « أن يأتى هذا أساتذةٌ لهم تاريخهم ولهم شهرتهم، بل لعلهم استنادا إلى هذا فعلوا ما فعلوا ظانين أنهم فى مأمن من النقد أو ما يلحق فعلتهم من الشّين والتجريح » . ثم مضت تقصّ القصة على النحو التالى : « لقد صدر كتابى فى أول يناير سنة ١٩٥٤ ، فإذا أستاذ معروف يستعيره منى قبل التجليد فى رجاء متعجل . وفرحت يومئذ ، إذ السن غضة والأمل ناشئ ، أن يطلب إلىّ الشيوخُ كتابى . وما قدّرتُ لسذاجتى أن وراء هذا الطلب كُتيّبا عن المازنى صدر سنة ١٩٥٤ (بالطبع بعد يناير ، وإنْ أغفل ذِكْرَ الشهر للتعمية حتى يلتقى مع كتابى فى سنة الصدور) فى صورة محاضرات تأكيدا للأستاذية ، فإذا بالكتيّب تأييد غير شاكر أو ذاكر لما جاء فى كتابى عن تاريخ

---

(١) فى سنة ١٩٦١م .

المازنى وحياته وبيئته وثقافته وأطوار أدبه مع اختلافٍ متعمَّد فى بعض المواضع لينفى الاتفاق والتطابق . ومن طرائـف هـذا التأييد (ولا أقول : « الاقتباس » تأدبا ، فإن الفاعل أستاذ مشهور) أنه يتمسك حتى بالشواهد التى اخترتُها من أدب المازنى مع وجود نظائر لها وأشباه فى كتب المازنى لو أن المحاضر قصد إليها أو كلّف نفسه جهدا فيها . وهو تأييد لا ينفيه اختلاف وجهات النظر فى موضعين أو بضعة مواضع اختلافا لابد من وجوده قصدا أو طبيعة فى مثل هذه الظروف التى تكتنف تعدد الكتابة على موضوع واحد ، مع تغيير النظام شيئا وترصيع المحاضرات على مسافات بعيدة بلمحة من الأدب الغربى وذكر أصحابه. وسكتُّ على مضض وكظَمْتُ على مرارة ، ولكن الأستاذ غرّه السكوت وأغراه الصمت بالعودة فنشر فى مجلة « المجلة » سنة ١٩٥٩ مقالين عن المازنى حيّا [١] فيهما الصفحات ٩٦ ، ٩٧ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٤ من كتابى (الطبعة الأولى) تحية كاملة . فشكرا للطبعة الثانية التى أتاحت لى الإفراج عن صمتى . وإن كان قد بقى شىء لم أفصح عنه فذلك متروك لذكاء القارئ واطلاعه ، وإنى منهما لعلى يقين » [٢] .

---

(١) تقصد أنه « أغار » على الصفحات المذكورة .

(٢) د. نعمات أحمد فؤاد / إبراهيم عبد القادر المازنى / الهيئة المصرية العامة للكتاب / سلسلة « الأعلام » (العدد ١٩) / ١٩٧٨م / ٢١ - ٢٢ .

والأستاذة الدكتورة تقصد ، فى إشارتها الأخيرة ، أن تقول إنها تركت اسم الساطى لذكاء القارئ بعد أن أعطته المعلومات الكفيلة بإرشاده إليه ، فقد ذكرت « كتيبا » قالت إنه « محاضرات » ، وإنه صدر « سنة ١٩٥٤ » دون تحديد الشهر ، وإن صاحبه « أستاذ مشهور » . ولا يوجد ما تنطبق عليه هذه الأوصاف إلا كتيب الدكتور مندور المسمى « محاضرات عن إبراهيم المازنى » ، والذى يقع فى أقل من خمسين صفحة ، ويحوى (كما قالت الدكتورة نعمات) بعض اللمحات عن الأدب الغربى وأعلامه مثل ڤيكتور هيجو [(١)] وچورج ديهامل [(٢)] وأناتول فرانس [(٣)] وما يسميه الرومانسيون الأوربيون بـ « مرض العصر : mal de siècle »[(٤)] وسرڤانتس وقصته عن «دون كيشوت»[(٥)] و « الفرضية المسيحية » التى تقابل عندنا « الفنقلة الأزهرية » [(٦)] .

وإنّ تصفُّحا سريعا للوريقات المسماة بـ « محاضرات عن إبراهيم المازنى » وللرسالة الدسمة التى حصلت بها الأستاذة الفاضلة على درجة الماچستير لكافٍ لإثبات صدق ما قالته : فالأفكار الموجودة

(١) ص ٢٥ .
(٢) ص ٣٠ ، ٤٤ .
(٣) ص ٣١ .
(٤) ص ٣٣ .
(٥) ص ٣٤ .
(٦) ص ٤٧ .

بالمحاضرات هى الأفكار الموجودة برسالة الأستاذة الدكتورة ، والاستشهادات هى هى إلا فى موضعين اثنين على طول الكتاب ، فضلا عن أننا فى الوقت الذى نجد فيه د. نعمات حريصة على توثيق نقولها واستشهاداتها لا نرى الدكتور مندور يهتم بشىء من ذلك [١]. وهذا طبيعى ، فقد تعبت السيدة الباحثة وأفنت أيامها ولياليها فى البحث عن مصادر رسالتها ومراجعها ومطالعتها ونقل ما تحتاجه منها فى جذاذاتها ، أما الدكتور مندور فقد ألفى كل ذلك بين يديه صيدا ثمينا سهلاً لا يُحْوِجه إلى بذل جهد أو إنفاق وقت فلَمْ يشأ أن يضيع وقته الغالى وقام بالإغارة على ثمرة جهد الباحثة حلالا زلالا وأخرجه للقراء موسوماً باسمه حاملاً ملامح أستاذيته المفعمة بالثقة والاطمئنان التامّيْن ، وإن كان قدّم وأخّر فيما أغار عليه كما صنع فى « نماذج بشرية » .

وإلى القارئ الآن أهمّ ما أخذه الدكتور مندور من الدكتورة نعمات فؤاد :

١ ـ الإشارة إلى غرابة العناوين التى يختارها المازنى لكتبه ، مثل « حصاد الهشيم » و « قبض الريح » و « صندوق الدنيا » ، ودلالتها

---

(١) اللهم إلا فى موضع واحد (ص ٤٢)، وذلك حينما نص على المكان الذى نقل منه نصًا من كتاب [illegible]نى « من النافذة »

على منحى أفكاره ومواقفه من الحياة (ص٤ ، وعند د. نعمات ص٥٧).

٢ - موقع بيت المازنى قرب المقابر وأثر ذلك فى نفسه (ص ٤ ، وعند د. نعمات ص ٥٦) .

٣ - فزع المازنى من الجثث التى تعثَّر فيها أثناء سيره فى المقابر والأثر الذى خلَّفَتْه تلك الحادثة فى أعصابه (ص ٢٤ ، وعند د. نعمات ص ٥٧).

٤ - إيراد نص رثاء المازنى لابنته ، التى ذكر د. مندور أن اسمها « مندورة » ، وهى معلومة لم يكن يعرفها إلا د. نعمات ، وقد أخبرتها بها زوجة المازنى نفسها (ص ٢٣ ، وعند د. نعمات ٨٢).

٥ - ذِكْر أسلاف المازنى العرب من لصوص وفُتَّاك وشعراء (ص ١٦ ، وعند د. نعمات ص ٥٢ - ٥٣).

٦ - شدة تواضع المازنى ودلالتها على ترفعه واعتزازه الزائد بذاته (ص ١٠ ، وعند د. نعمات ص ٧٦ ، ٣٩٠).

٧ - كلام الدكتور مندور عن الأصدقاء الثلاثة : العقاد والمازنى وشكرى وما وقع بينهم من خلاف وتفرق (ص ٢٨ ، وعند د. نعمات ص ١١١ وما بعدها).

٨ ـ كثرة اطلاع المازنى على الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى وربط ذلك بأفكاره ولغته (ص ٧ ، وعند د. نعمات ص ١٣، ٣٤٤).

٩ ـ رأى المازنى فى أن الشعر إنما يعتمد على التصوير لا الفكرة ، والبيتان الشعريان اللذان ساقهما لتوضيح هـذا الرأى » (ص ١٤ ، وعنـد د. نعمات ص ١٤٣ وما بعدها).

١٠ ـ إشارة د. مندور إلى تشاؤم المازنى وحقده على الأحياء فى ديوانه الأول واستشهاده على ذلك بأبياته التى أولها : « سترْخَى على هذى الحياة الستائر » (ص ٣٤ ـ ٣٥ ، وعند د. نعمات ص ١٦٥ ـ ١٦٦ ، ٣٣٨).

١١ ـ إشارة د. مندور إلى ما يسود الجزء الأول من ديوان المازنى من مسحة حزن مع استشهاده بعناوين بعض القصائد على ذلك (ص ٣٦ ـ ٣٧ ، وعند د. نعمات ص ١٥٦ ـ ١٥٧).

١٢ ـ إشارة د. مندور إلى شكوى المازنى فى مقدمة « صندوق الدنيا » من تبديـد حياتـه فـى الكتابة والتأليف ، والاستشهاد على ذلك بفقرات من هذه المقدمة (ص ١٩ ـ ٢١ ، وعند د. نعمات ص ١٧٨ ـ ١٧٩).

١٣ ـ الإشارة إلى حملة المازنى على الأحزاب المصرية فى عصره وإيراد شىء مما كتبه فى هذا الموضوع (ص ٤٢ ، وعند د. نعمات ص ١٨٧ ـ ١٨٩).

١٤ ـ الإشارة إلى تحول أسلوب المازنى من الاحتفال بالصياغة إلى السهولة بل والسطحية فى بعض الأحيان (ص ٢٤ ، وعند د. نعمات ص ١٩٠ ـ ٢٠٣).

١٥ ـ إشارة د. مندور إلى هجوم محمد على حماد فى كتابه « المِعْوَل » على الأستاذ المازنى واتهامه إياه بسرقة مسرحية « الشاردة » من جالزورثى (ص ٢٢ ، وعند د. نعمات ص ٢٨٨).

١٦ ـ كلام د. مندور عن سخرية المازنى (ص ٢٢ ، وقد خصصت لها د. نعمات فصلا كاملا من رسالتها ابتداء من ص ٣٢٧).

وهذا غير المعلومات الكثيرة المنبثة فى كتيّب د. مندور والتى لم يُشِرْ فى أى موضع إلى المصادر التى استقاها منها . وفى يقينى أن من يتعمق فى المقارنة بين العملين سوف يخرج بأشياء أخرى غير التى ذكرتها هنا من مجرد التصفح السريع كما قلتُ . ولعل بعض الباحثين الآخرين يراجعون كتابات د. مندور الأخرى ، إذ يغلب على ظنى أن مثل تلك المراجعة كفيلة بأن تهدينا إلى الأصول التى كان يضعها د. مندور أمامه وهو يحبّرها ، فقد كان (كما ألمحت فى المقدمة) بارعًا فى صياغة أفكار الآخرين فى تركيز ووضوح وبأسلوب يتسم بالدفء رغم كل شىء .

تقويم ترجمة مندور لـ « مدام بوفارى »(١)

رواية « مدام بوفارى » من الروايات الشهيرة جدا فى الأدب العالمى ، ومع ذلك فلا بد من المسارعة إلى الاعتراف بأنى لم أنل منها من المتعة ما كنت أقدّر أنى سأناله بعدما رأيت ما يحيطها به النقاد والكتّاب من هالات المجد والعبقرية . لقد أحسست بقدر غير ضئيل من الملل وأنا أقرؤها ، وربما كان بعض ذلك راجعا إلى أنى لم أقرأها دفعة واحدة لا فى لغتها الأصلية ولا فى الترجمة العربية التى قام بها د. محمد مندور ، بل كنت أقرأ الفقرة أو عدة الفقرات فى الأصل الفرنسى ثم أنتقل إلى النص العربى مقارنا بين الاثنين لأرى مدى دقة الترجمة ونجاحها فى لقْف الإشعاعات والإيحاءات التى لا تكاد تحيط بها العبارة . وفضلا عن ذلك فقد اضطرتنى أشغالى الأخرى إلى أن أترك الرواية عدة مرات مما طال معه الوقت المنصرم بين بداية القراءة والفراغ منها . بيد أن الشعور بالملل يعود أساسا إلى خيبة الأمل التى يصاب بها القارئ حين يجد أن هذه الرواية تكاد أن تخلو من المفاجآت

---

(١) اعتمدت فى هذه المقارنة على طبعة " Le Livre de demain, Arthème Fayard & Cie, Paris, Octobre 1930 " بالنسبة للأصل الفرنسى ، وعلى طبعة « روايات الهلال (العددان ٣٤٠ ، ٣٤١) / إبريل ومايو ١٩٧٧م » بالنسبة للترجمة .

التى يظل طول الوقت يتوقعهـا . بل إن مشاعر بطلة القصة وعاشقها لا يَعْتَوِرها هى نفسها أى تغيير . ومع ذلك فإن هذا كله يزول فى نهاية الرواية حين تنتحر البطلة ويصف فلوبير انتحارها وآلامها ساعة الاحتضار ذلك الوصف العبقرى .

والرواية ، كما هو مشهور ، تدور حول زوجة طبيب من أطباء الريف والأقاليم تغلب عليها النزعة الخيالية التى لا تستطيع حقائقُ الواقع أن تخفف من غُلَوائها ، فكانت فى حالة تهيؤ دائم للوقوع فى حبّ أول شخص يقابلها ويبدى شيئا من الرقة والاهتمام بها حتى لو تكشّف بعد ذلك عن فظاظة طبع ، مما يدل على أنها لم تكن تحسن قراءة الشخصيات ولا استشفاف الأخلاق ، بل كانت هذه النزعة الخيالية التى لم تَخْلُ من تفاهة وسذاجة تُعْمِى عينيها وتضلّلها حتى انتهت إلى السقوط فى وحل الفضيحة وانتحرت بعد أن تخلى عنها عشيقاها اللذان ضحت بسمعتها ومالِ زوجها وحاجة ابنتها إلى حنان الأمومة من أجلهما .

ونحن نعرف أن فلوبير قد قُدِّم إلى المحاكمة بسبب هذه الرواية التى وصفتها الرقابة آنذاك بأنها تسىء إلى الدين والأخلاق . وقد أحسن د. مندور إذ شفع ترجمة الرواية بترجمة عريضة الاتهام ومرافعة محامى فلوبير ، فإن دعوى النائب العام ورد المحامى عليه هما فى الواقع

آيتان من آيات النقد الأدبى ، وإن كنت أرى أن ردود محامى فلوبير أقوى وأكثر إقناعاً .

وأحب قبل أن أخطو إلى التعليق على الترجمة أن أقف عند بعض آراء النائب العام والمحامى التى تتعلق بالرواية ، فقد أكد النائب العام أن اللون العام لصورة مدام بوفارى ، كما رسمها فلوبير ، هو اللون الشهوانى ، فهو يقول : « قد استخدم المؤلف كل غايته وسطوة أسلوبه لكى يصور هذه المرأة . ولكن هل حاول أن يظهرها من ناحية الذكاء؟ أبدا . أم من ناحية القلب ؟ ولا هذا أيضا . أم من ناحية الروح ؟ لا . أم من ناحية الجمال الجسمى ؟ بل ولا هذا . أوه ! إننى أعلم أن هناك صورة لمدام بوفارى بعد الزنا رائعة البريق ، ولكن اللوحة شهوانية قبل كل شىء ، والأوضاع شهوانية ، وجمال مدام بوفارى جمال استثارة »[1]. والحق أن فى ادعاء النائب العام مبالغة شديدة . إننى لا أستطيع أن أنكر أنها كانت تخون زوجها ، لكنها كانت فى ذات الوقت حريصة على التستر ما أمكن . وهى لم تكن بالمتهتكة لا فى ملابسها ولا فى حياتها الاجتماعية ، بل ولم يكن اهتمامها اهتماما بجنس الرجال عمومًا بل فقط بالرجل الذى كانت تحبه وترنو إلى أن تجد عنده ما تبحث عنه من الحب الخيالى الذى كانت تقرأ عنه فى

(١) ج ٢ / ص ١٩٠ من ترجمة مندور .

القصص العاطفية الحارة . لا ، بل إنها فى مظهرها العام وتصرفاتها ، حتى وهى خالية بعشيقها ، كانت توحى بالرقة وتستثير الأحلام ، وبالطبع تستثير الشهوة أيضًا ، وإن لم تكن الشهوة هى العنصر الذى يحتلّ المقام الأول فيما يخرج به القارئ عن شخصيتها من انطباع . والغريب أن يرتكز النائب العام على الاعتبارات الدينية متجاهلاً ما فى الكتاب المقدس من قصص وحكايات تفيض عُهْرا وفُحْشا كنشيد الأناشيد مثلاً أو سَقْى ابنتى لوط عليه السلام أباهما خمرا ونومهما معه وحملهما منه إلخ ... إلخ ...

كذلك لا يستطيع الواحد منا أن يوافق النائب العام على ما يظنه من أن واجب الروائى هو أن يجعل أبطال رواياته وبطلاتها فضلاء ذوى خلق مستقيم ، فإن انحرفوا عادوا فتابوا[١] . والحمد لله أن ليست كل الروايات هكذا ، وإلا كان الأمر مملا جدا وقمينا بأن يصرف الناس بعد فترة من الزمن طالت أم قصرت عن هذا الفنّ ، لأنهم يدركون فى نهاية المطاف أن هذا تضليل ، إذ الحياة مختلفة عن ذلك . وليس معنى كلامى هذا أننى أدعو الروائيين إلى تمجيد العهر ، بل كل ما أريده هو الصدق ، مع عدم القصد إلى استثارة الغرائز الجنسية ، فإن هذا بابٌ خَطِرٌ ولُوجُه . والأَوْلَى فى هذه الحالة أن يكتفى الروائى بالإشارة

(١) ٢ / ١٩١ .

والإيحاء[١] .

وقد ترتب على هذا الفهم التبسيطى بل الساذج أن اعترض هذا النائب العام على قول فلوبير فى موضع ما من روايته ، إشارة إلى ما كانت تحس به إمّا البطلة من اشمئزاز من زوجها وخيبة أمل فى علاقتها بعشيقها : « آه لو أنها فى نضرة جمالها وقبل دنس الزواج وخيبة الأمل فى الزنا كانت قد استطاعت أن ترسى حياتها فوق قلب كبير متين، إذن لاختلطت الفضيلة والعاطفة واللذات والواجب ولما نزلت من هذه السعادة العالية »[٢]، قائلاً : « هناك من كان يستطيع أن يقول : خيبة الأمل فى الزواج ودنس الزنا »، ولكن النص يقول : « قبل دنس الزواج وخيبة الأمل فى الزنا » . وهو اعتراض لا معنى له ، أوّلا : لأن فلوبير لم يكن يصف مشاعر النائب العام بل مشاعر إمّا ، التى كانت تنظر إلى زواجها والزنا الذى انحدرت إليه هذه النظرة سواء وافقناها نحن أو المؤلف على هذا أو لا ، وثانياً : لأن فلوبير لم يدّعُ إلى

---

(١) يقول إنيد ستاركى إن فلوبير كان يؤثِر فى العادة الصمت والتلميح على الوصف الصريح (Enid Starkie, Flaurbert - The Making of the Master, London, 1967, p. 348) . وجدير بالذكر أن المحكمة قد برأته من تهمة الإساءة إلى الخلق الدينى والعرف السليم (C. Digen, Flaubert, Paris, 1970, pp. 95 - 96) .

(٢) ٢ / ١٩٣ .

الزنا فى روايته ، وإلاّ لما جعل نهاية بطلته الزانية بهذا الشكل الفظيع من التعاسة والفضيحة والعذاب . ومن ثم فقد جانب النائبَ العامّ الصوابُ تماما فى قرب نهاية عريضة الدعوى فى قوله عن إمّا : « ليس فى الكتاب شخصية واحدة تستطيع أن تدينها . وإذا استطعتم أن تجدوا شخصية واحدة حكيمة أو أن تعثروا على مبدإ واحد يمكن أن يدان به الزنا فاحكموا بأنى مخطئ . وإذن فإذا لم يكن فى الكتاب كله شخصية واحدة يمكن أن تحملها على أن تطأطئ الرأس ، وإذا لم تكن هناك فكرة أو سطر يمكن أن يسفّه به الزنا فإننى أكون على حق ، ويكون الكتاب ضد الأخلاق »[1] ، إذ ليست العبرة بل ولا من مقتضيات الفن الرفيع أن يدين الروائىُّ على نحو سافر وبصوت مسموع أبطالَه الأشرار . ثم أى خزى أفظع من الخزى الذى جلّل إمّا فى نهاية المطاف حين سمّت نفسها وكُتِب عليها أن تتجرع العذاب غصصاً مروّعة أمام أعين الجميع وتُغَطِّى البقع جسدها الجميل فتشوهه بل ويتدلى لسانها طويلاً من فمها حتى خافت ابنتها من هذا المنظر وبكت فأبعدوها ؟ إن أحداً غيرها وغير عشيقها لم يكن يعرف بخيانتها ، وعلى هذا فلم يكن أحد يستطيع أن يجعلها (بتعبير النائب العام) تحنى رأسها ، اللهم إلا تاجر الأقمشة المتجول الذى حَدَس شيئاً مما كانت متورطة فيه ، والذى أذلها بهذا القليل الذى كان يَحْدِسه .

---

(١) ٢ / ١٩٩ .

وقد كانت ملاحظة محامى فلوبير صحيحة حين قال إن الدقة التصويرية والتفصيل الوصفى ليسا مقصورين على المشاهد التى رسم فيها المؤلف لقاء إمّا بعشيقها فى حجرة النوم (وإن كنت ، من حيث المبدأ ، أرى أنه كان يستطيع أن يحذف الوصف الصريح جدا ، وهو قليل ، مكتفيا بالإيحاء فى مثل هذا الموقف) ، فقد تناول المؤلف ، دون أى تحفظ ، جميع أحداث حياة إمّا فى طفولتها وفى تربيتها بالدَّيْر[1]، بل تناول بالتفصيل الشديد وصف كل شىء سواء كان يختص بإما أو لا ، وهو تفصيل يذكّرنا فى بعض جوانبه بأسلوب توماس هاردى . والواقع أن هذا التريث الطويل فى وصف كل شىء هو أحد العوامل التى تجعل القارئ يشعر بالملل ، وإن كان لا بد من الإقرار بأن عبقرية فلوبير ونظيره الإنجليزى هى التى تجعلنا فى كثير من الأحيان نغمض الطرف عن هذا العيب ونَعُدُّوه إلى المحاسن الأخرى . ويمكن القارئ أن يجد مثالاً على هذا التفصيل المرهق فى وصف فلوبير للاحتفال الذى وُزِّعَتْ فيه الجوائز على الفلاحين المهرة[2]، ومثالا ثانيا فى وصفه للكاتدرائية التى تواعدت إمّا وليون على اللقاء عندها[3]. والأمثلة بَعْدُ كثيرة .

(١) ٢ / ٢٠٥ _ ٢٠٦ .

(٢) ١ / ١٤٢ وما بعدها .

(٣) ٢ / ٨١ وما بعدها .

كذلك فإن المحامي كان أيضًا على حقّ حين رأى أنه ليس في الفقرة المحذوفة المتعلقة بسقوط إمّا لأول مرة مع ليون ما يمكن أن يخدش الأخلاق ولو خدشًا بسيطا ، ففي هذه الفقرة نشاهد العربة وهي منطلقة من هذا الشارع إلى ذلك الميدان ، ومنه إلى الطريق المحاذي للنهر ثم إلى الريف ، كل ذلك والحوذي يتصبب عرقا ، والجوادان يلهب السوط ظهريهما ، وكلما تراخت العربة صاح به ليون من داخل العربة المسدلة الستائر أن « استمر في السير » حتى كاد الحوذي يبكي من الإرهاق . والحقيقة أنني كدت ، في غمرة المقارنة بين الأصل والترجمة ، أن أفرغ من تلك الفقرة دون أن أتنبه لما يحدث في داخل العربة إلا حينما بلغت العبارة التالية : « وذات مرة في وسط النهار ، وفي قلب الحقول ، وفي الوقت الذي كانت ترسل فيه الشمس أقوى أشعتها فوق المصابيح العتيقة الفضية اللون ، مرت يد عارية من تحت الستائر الصغيرة الصفراء وألقت قصاصات من الورق انتثرت مع الريح (ملاحظة : كانت إمّا قد كتبت إلى ليون خطابا تتحلل من موعدها معه ، ولكنها احتفظت به معها حتى تلك اللحظة) ، وتساقطت عن بعد قريب كالفراشات البيضاء فوق حقل من البرسيم الأحمر المزهر » (١) . وهذا كل ما هنالك ، وهو يدل على أن الروائي البارع يستطيع أن يقول كل ما يريد في وصف هذه المواقف وأشباهها

(١) ٢ / ٢١٠ .

من غير التصريح بكلمة واحدة .

لقد كان محامى فلوبير بارعًا فى الدفاع عنه وفى كشف عُوَار الدعوى المرفوعة ضد موكّله . ولم يخل رده على النائب العام من بعض السخريات الألمعية اللاذعة كما فى تعليقه على اعتراض هذا النائب ضدّ ورود عبارات مثل : « وسقطت ملابسها كلها بحركة واحدة » بحجة أن فيها إساءة للأخلاق العامة . ونص تعليقه هو : « وفى الحق إنه لأمر مسرف السهولة أن تتهم بمثل هذه الطريقة . والله يحفظ مؤلفى المعاجم من أن يقعوا فى قبضة السيد محامى الإمبراطورية »[١] .

* * *

هذا ، وفى ترجمة الرواية أخطاء نحوية ولغوية جدّ كثيرة لا أدرى كيف وقع فى مثلها د. مندور . صحيح أن الدكتور مندور ليس بالكاتب الذى لا نتوقع منه مثل هذه الأخطاء ، غير أن الذى يروعنا هنا هو كثرتها ، فضلا عن أن الكثير منها أخطاء لا ينبغى أن يقع فيها أى طالب مجدّ فى دراسة لغة قومه .

هذا ، وسوف أورد هنا بعض الأمثلة على هذه الأخطاء : فمن ذلك قوله : « بآنيتَىْ زهورٍ كبيرتين »[٢] ، والصواب ، كما لا يخفى ،

---

(١) ٢ / ٢١٢ .
(٢) ١ / ٧١ .

هو « بإنائى زهور كبيرين » . لقد ثنّى كاتبُنا الجمعَ ، والمفروض أن يثنّى المفرد . وقد كان يستطيع أن يقول بدلاً من هذا : « بزهريتين كبيرتين » فيريح ويستريح . وفى موضع آخر نجده يقول : « محتضنة وجهه الجامد الطويل ذى العينين الصغيرتـين »[١] ، وهو خطأ نحوى لأن « ذى » هنا نعتٌ لـ « وجهه » ، وهو مفعول به ، فحقها إذن أن تكون بالألف . وقد تكررت هذه الغلطة بعينها فى قوله « وهو يضم إلى جسمه ... معْطَفَه المنزليَّ ذى الأوشجة »[٢] مما ينفى شبهة الخطإ المطبعى . ومما يلفت النظر أيضا استخدامه جمع التأنيث لاستغراق الجنس بدلاً من صيغة جمع التكسير ، فجمع التأنيث يدل على القلة عادة ، أما الاستغراق فيحتاج إلى الصيغة التكسيرية فى حالة وجودها . وهذه هى عبارته : « ومهما يكن هذا الخالق الذى أوجدنا هنا لنؤدى واجباتنا كمواطنين وأرباب أسرات »[٣] ، وكان الأصح أن يقول «مواطنين وأرباب أُسَر» . أما الخطأ التالى فإنه خطأ شائع فى كتابات كثير من الكتاب حتى المشاهير منهم ، وهو « ومع أنه ... إلا أنه ...»[٤] ، وقد تكرر عدة مرات . ومثل هذا التركيب فى الخطإ

---

(١) ١ / ٨٦ .

(٢) ١ / ١٤٠ .

(٣) ١ / ٨٨ .

(٤) ١ / ١٠ ، ٩٥ .

التركيبان التاليان « وبرغم أنه ... إلا أنه ... » و « وهو وإن كان كذا إلا أنه كـذا » ، إذ ما معنـى الاستثناء هنـا ؟ فالصـواب هو استبدال « الفاء » فى مثـل هـذه التركيبات بـ « إلاّ » وكسـر همزة « إنّ » بعدها . وهو يقول : « فطيلةَ أيام الآحاد نهارها ومساؤها »[١]، والصحيح « ومسائها » لأنها معطوفة على « نهارها » ، وهى بدل من « أيام الأحاد » ، التى تُعْرَب مضافا إليه . وقد تصح أيضًا أن تُنْصَب عطفًا على « نهارها » ، التى ستكون فى هذه الحالة ظرفًا ثانيًا (والأول هو « أيام الآحـاد ») . أما وصف الضحكة بأنها « أجشّة »[٢] فهو غريب مضحـك ، إذ مـن ذا الذى يجهل أن المؤنـث من « أجَشّ » هو « جَشّاء » ؟ ومثلـه فـى الغرابة استعمـال « الكعـب » فى مكان « العَقِب »[٣] جريا على أسلوب العامة ، وكان ينبغى أن يفطن الدكتور لذلك . ومن الأخطاء أيضًا قوله : « خياطم الخنازير »[٤]، ولعله أراد « مخاطم الخنازير » أى أنوفها . كمـا وردت صيغـة المفعـول من « ذهل » بمعنى « ذاهل » [٥]، وهو خطأ شائع، فالمذهول (وكذلك

---

(١) ١ / ١١٢ .

(٢) ١ / ١٢٤ .

(٣) ١ / ١٢٦ .

(٤) ١ / ١٤٧ .

(٥) ١ / ٢٤٨ .

المذهول عنه) هو الشيء الذى يتعلق به الذهول ، أما الذى يقع منه الذهول فهو « ذاهل »[١] . أما الخطأ التالى فهو شنيع ، إذ لا يصحّ أن يجهل المترجم أن خبر « كان » حقه النصب . والخطأ هو « كان المستشار ماضى فى خطابه » [٢] . كما أن مندور فى وصفه « العنان » بأنه « مكسنور » (بدل « مقطوع » أو « ممزق ») إنما يترجم ترجمةً حرفيةً عبارةَ فلوبير : " une des brides cassées "[٣] ، فالكسر فى لغتنا يختصّ بالأشياء الصلبة ، أما بالنسبة للعنَان فنقول : « انقطع » أو « تمزق » . وفى موضع آخر نقع على هذا التركيب الذى يكثر فى اللغة العامية : « مبكّرا عن عادته »[٤] ، والصواب هو « أبكر من ... » . كذلك نجد مترجمنا يرفع الفعل المضارع بعد « حتى » قائلا : « حتى لا يلوحان مضحكين »[٥] ، وصحتها « حتى لا يلوحا » . وقد تكررت هذه الغلطة فى قوله : «حتى تصطدمان»[٦] . أما فى قوله : « إن يدىّ لا تزالا حارّتين من قبلاتك »[٧] وقوله :

---

(١) ١ / ١٤٢ .

(٢) ١ / ١٥٢ .

(٣) ٢ / ١٣ .

(٤) ٢ / ٤٦ .

(٥) ٢ / ٦٧ .

(٦) ٢ / ١٠٧ .

(٧) ٢ / ١٤٩ .

« البرص والقراع اللذين يجلبوهما[١] » فخطؤه عكس ذلك . ومن الاستعمالات العامية كلمة « خطوبة »[٢]، والصواب « خطْبة » (بكسر الخاء) ، ومثلها كلمة « مرَبّات »[٣] (جمع « مُربّى »)، والصحيح « مربّيات » .

ومن الأخطاء الفظيعة إيراد اسم « أن » المتأخر مرفوعًا : « لأنَّ هناك فنانون »[٤]. ومثله فى الفظاعة نصب خبرى المبتدإ فى قوله : « كان كل منهما يكرر للآخر وهما واقفين ساكنين »[٥] ، ولعله توهمهما حالين ، بينما الواقع أن الحال هنا هو المبتدأ وخبراه معًا . ومنها استعماله صيغة الجمع وصفًا لشخصين اثنين ، فإمّا تقول لعشيقها : « كم نكون سعداء ... » ، وهو يرد عليها بدوره متسائلاً: « أولسنا سعداء ؟ »[٦] ، وهو خطأ صوابه « سعيدين » . وهو يستخدم «اصطحب» فى محل « صحب أو صاحَب » ، وذلك فى قول هوميه : « آه ! سأصطحبك »[٧]، يقصد أنه سيرافقه لا أنه سيأخذه معه .

(١) ٢ / ١٧٨ ، علاوة على معاملة البرَص والقُراع (وهما مثنّى غيْر عاقل) معاملة جمع العقلاء .

(٢) ١ / ٦٩ .

(٣) ١ / ٨٩ ، وقد تكرر ذلك الخطأ عدة مرات فى تلك الصفحة .

(٤) ١ / ١٠١ .

(٥) ١ / ١٠٦ .

(٦) ١ / ١١٠ .

(٧) ١ / ١٢٠ .

ومن الأخطاء النحوية أيضاً عدم نصب كلمة « ساع » في قوله: « وكانوا كاتبا وفقيرين وساع »[١]. كذلك كان ينبغي أن تُحذف ياء «مهاوى» مع تنوين الواو بالكسر في قوله : « في مهاوى لا حد لها»[٢]. أما في العبارة التالية: « وقال وهو يقدم يده إلى الأمام لكى يعينها على الصعود »[٣] فقد كان الأفصح (على الأقل) أن يقول : «وهو يمدّ يده ... » ، فنحن نقدّم « إنسانا » على أنفسنا ، أو نقدّمه إلى شخص آخر ليتعارفا ، أو نقدم هدية ، أما يدنا فإننا « نمدّها » .كما نجده قد أسند ضمير المثنّى المذكّر إلى الفعل الماضى عدة مرات برغم أن الكلام عن امرأتين لا رجلين ، فهو يقول : « وصعدت هاتان السيدتان إلى مخزن الحبوب واختفيا ... »[٤] ، مع أنه يقول بعد ذلك: « وانتظرتا » . ويبدو أن سبب وقوعه في الخطإ مع الفعل « اختفى » هو أنه معتل الآخر يربك غير المتيقظ . وقد كرّر هذه الغلطة في قوله عن هاتين السيدتين : « ورأياها وهى تسير طولا وعرضا » (برغم قوله عنهما قبيل ذلك : « ميّزتا ») ، والسبب هو هو فيما أخمّن. أما في قوله عنهما أيضاً : « ثم لحاها ... فأخذا يضلان في الفروض » فليس ثمة عذر بالمرة . ومن اختلاط الأمر في استخدام الضمائر قوله : « وهى تغمض عينيها التى تُعْشِيهما المشاعل المتقدة »[٥]. ومن الأغلاط اللغوية

---

(١) ١ / ١٣٠ .

(٢) ١ / ١٣٧ .

(٣) ١ / ١٣٨ .

(٤) ١ / ١٤٣ ـ ١٤٤ .

(٥) والصواب : « اللتين » (١ / ١٥٥) .

اللافتة للنظر أنه ما من مرة واحدة استخدم فيها مندور، كما هو المفروض ، كلمة « مِسْح » ليدل بها على ثوب القسيس بل استخدم دائماً صيغة الجمع منهـا ظانا أنها مفرد[١] . ومـع ذلك فقـد استخدم « مُسُوح » مرة واحدة استخداما صحيحاً ، أى للدلالة على الجمع[٢] . وانظر أخيرا كيف يستعمل لأمر المذكر الصيغة التى ينبغى أن توجَّه للمؤنث ، فالصيدلى يقول لشارل : « اِبْكِى » بإثبات الياء ، وكأنه امرأة[٣] .

وأود ، قبل أن أنتقل إلى نقطة أخرى ، أن أؤكد للقارئ أننى لا أتصيد للمترجم الأخطاء تصيّدا ، وإلا فهناك أخطاء يصعب حصرها عَزَوْتُها لإهمال الطابع ، وأخطاء كثيرة أخرى لم أوردها هنا لاحتمالها الصواب على رأى ضعيف ، وذلك حاشا الغلطات الصريحة التى لم أشأ تسجيلها هنا لأننى فى مقام التمثيل لا التقصى . كذلك أودّ ألا يفوتنى التنبيه إلى أنه ما من كاتب أو أديب إلا ويخطئ ، ولكن ثمة فرقا كبيرا بين خطإ يَخْفَى وجه الصواب فيه وبين هذه الأخطاء التى وقع فيها المترجم ، فإن من الصعب العثور على عذر له فيها .

على أن ثمة عيبًا آخر غير أخطاء النحو والصرف هو الركاكة

---

(١) ١ / ١٢٤ ، و ٢ / ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦١ .

(٢) ١ / ١٧٢ .

(٣) ٢ / ١٦٢ .

الأسلوبية في مواضع ليست بالقليلة ، فالدكتور مندور ليس شابا مبتدئًا حتى يقع في مثل هذه الأخطاء . وجريا على عادتنا في هذا البحث سنجتزئ ببعض الأمثلة التي يتبين معها للقارئ أن العيب المشار إليه يشكل ظاهرة تشد البصر :

فمثلا في حديثه عن شعور إمّا بالوحدة في مخدعها يقول إنها «تود لو هبطت لتستأنس بالحديث مع الخادم ، لولا أن يمنعها الحياء»[١] . وهو يقصد : « لولا أن الحياء كان يمنعها » . كذلك أظن أنه لو كان قال في وصف إمّا : « مسامّ بَشَرتها » بدل «مسامّ جلدها»[٢] لكان أفضل ، لأن استعمال كلمة « البشرة » أنسب للمقام ، إذ ترد في وصف رقة بشرة إمّا وجمالها ، أمّا لفظة « الجلد » فيحسن في سياق آخر . وهو يترجم " Ses parents sont à leur aise " بقوله : « والداه في يسر » ، وهي عبارة تبدو وكأن كاتبها أجنبيّ ، إذ الترجمة هنا حرفية . وكان يستطيع أن يترجمها مثلا إلى : « والداه ميسوران » . كذلك لا أظن إلا أن ترجمة ! Eh non " Vous le savez bien " بـ « آه . لا . وهذا أنت تعرف جيدا » جدّ ركيكة[٣] رغم أن العبارة لا تشكل أية صعوبة لا في فهمها

---

(١) ١ / ٧٥ .

(٢) ١ / ٩١ .

(٣) ٢ / ١٢ .

ولا فى نقلها إلى العربية (على النحو التالى : « ... إنك تعرف ذلك جيدا ») .

وهو يقول : « واستشعرت إمّا بالندم »[١] ، ولا أدرى ما الذى تفعله الباء هنا . ولا عذر للكاتب فى إيرادها ، فإن هذا الاستعمال ليس من الأخطاء الشائعة وليست هناك ضرورة شعرية . ثم إن اعتراض الباء هنا بين الفاعل والمفعول ثقيل كاللقمة التى تسدّ الحلق. كذلك نراه يترجم " la parole humaine " بـ « الحديث البشرى»[٢] ، مع أن المقصود هو « اللغة الإنسانية » أو « كلام البشر » ، وشتان بين هذا وذاك . أما " par l'effet seul de ses habitudes des amoureuses " فيترجمها بـ « ولمجرد اعتيادها الغراميات (غيرت مدام بوفارى من طبائعها ... إلخ) »[٣] ، وهى صياغة ركيكة ، فضلاً عن عدم دقتها فى نقل العبارة الفرنسية . وربما كان قولنا : « وبتأثير ما تعودته كعاشقة ... » أو « وبتأثير عاداتها فى الغرام ... » أكثر توفيقاً . وفى ترجمة " Il me semble que c'est tout. Ah ! encore ceci, de peur qu'elle vienne à me relancer " نراه

---

(١) ٢ / ٢٤ .

(٢) ٢ / ٤٠ .

(٣) نفس الجزء والصفحة .

يقول : « أظن أن هذا هو كل شيء . آه (إلى هنا لا غبار على الترجمة ، ولكن فلننظر فيما يأتى :) ولكن هذا أيضًا لكيلا تعود إلى مطاردتى ». وكان ينبغـى أن تكون الترجمة : « ولكن فلأضف هذا ... » . ومن الواضح أنه لم يحاول فى ترجمته الفكاك من إسار تركيب العبارة الفرنسية مما جعل صياغته ، إلى جانب ركاكتها ، تبدو غامضة المعنى . وهو يترجم " organisme " بـ « جهاز » ، وذلك فى العبارة التالية التى تتحدث عن إصابة أحد الكلاب بالتشنج عندما قرّب صاحبه من أنفه علبة الطباق : « وهل يتصور الإنسان أن سعوطا بسيطا كهذا يمكن أن يحدث هذه الأحداث فى جهاز ذوات الأربع ؟ »[1]. والأجزل والأوضح أن تترجم بـ « بنية » لأن المقصود هنا هو مجموع أعضاء جسم الحيوان ، ونحن قد درجنا فى لغتنا على استخدام مصطلح « جهاز » (فى هذا المجال) فيما هو أخص من ذلك ، فنقول : « الجهاز الهضمى » و « الجهاز التنفسى » ... إلخ . وهو يؤدى " un fils de famille " بهذه العبارة : « ابن أحد الأسر » ، التى هى ، فضلاً عما فيها من خطإ تذكير « أحد » ، لا تدل على شيء . إن المعنى هو « ابن إحدى الأسر الغنية » ، ويمكن تأديته ببساطة بـ « ابن أسرة » (وبالعامية : ابن عيلة) . أما

---

(١) ٢ / ٥٥ .

عبارة المؤلف فمعناها « ابن أسرة من الأسر » ، وهو ما ينطبق على كل إنسان . والملاحظ أن ركاكة الصياغة هنا وعدم دقتها ليسا راجعين ، كما هو الحال فى بعض الأمثلة السابقة ، إلى توخّى المترجم تأدية العبارة الفرنسية كما هى ، لأن هذه العبارة ، لو تُرْجِمَتْ حرفيا ، (وهى لحسن الحظ الترجمة الصحيحة فى هذا السياق) لما كانت شيئا آخر غير ما قلناه .

أما التعبير التالى : « هذا هو ما يسمى باشتباك المناقير »[١] ، فهل من القراء من يدرك له معنى ؟ لقد ورد هذا التعبير على لسان هوميه الصيدلى إثر مجادلة بينه وبين أحد القسس . ونصّ الأصل الفرنسى هو: " Voilà ce qui s'appelle une prise de bec "، وليس فيه أى ذكر لـ « اشتباك مناقير » بل لـ" une prise de bec " ، ومعناه المجازى « مشاحنة / خصومة / مناقرة » . ويبدو لى أنه يمكن ترجمته أفضل من ذلك على النحو التالى : « أرأيت هذه المناقشة الحامية ؟ » أو « أرأيت هذا النقار ؟ » ، وهو ما يوحى باعتزاز الصيدلى بنفسه وطريقته فى المجادلة واعتقاده أنه هزم القسيس أو طواه على حد تعبيره .

وفى ترجمة " ... Tout passa pour elle dans l' éloignement " ، التى وردت ضمن وصف مشاعر إما وهى

---

(١) ٢ / ٦٥ .

تشاهد العزف والغناء من مقصورتها فى أحد المسارح وكيف أنها انساقت مع أحلام اليقظة فلم تعد تنصت إلى الموسيقى ، نجده يقول : « كلّ هذا مرٌّ بالنسبة إليها قَصِيًا »(١) . وهذه عجمة ، وكان الذوق اللغوى العربى يقتضيه أن يترجمها كالآتى : « كان كل ذلك يأتيها من بعيد » مثلا . كذلك نراه يقول : « والجرأة تتوقف على الأوساط التي يوجد المرء فيها »(٢) ، وكان الأجزل أن يقول : « على الوسط الذى يكون فيه المرء » أو « على الظروف التى تحيط بالإنسان » ، أما « الأوساط » ، فلا تَعْذُب فى هذا السياق فى الأذن العربية . وحين يضع ليون يده فى جيبه ويُخْرِج " une pièce blanche " ويعطيها لحاجب الكنيسة ، نرى د. مندور يترجم ذلك بـ « قطعة بيضاء » . قطعة ماذا ؟ لا ندرى . ولا أعرف لِمَ لَمْ يقل : « قطعة من النقود » ، وهى ليست من الصعوبة بأى مكان . أما عبارة " Il la regardait en face, d'une manière insupportable " فيترجم الجزء الأخير منها هكذا : « فى هيئة لا تُحْتَمل »(٣) ، والأنسب أن يقول : « بطريقة لا تحتمل » أو «على نحو لا يُحْتَمل» ، فهكذا نعبرّ عن هذا المعنى ، أما « الهيئة » فتعنى شيئًا آخر .

(١) ٢ / ٧٢ .
(٢) ٢ / ٧٥ .
(٣) ٢ / ٩٦ .

والآن إلى الجملة التالية : « ولكن هيڤير (الحوذى) ، الذى كان يحس بثقل الأعمى وهو متعلق بالعربة ، كان يضربه ضربات قوية بسوطه فيصيب جراحه ، ثم يسقط فى الوحل وهو يطلق الصيحات »[(١)]. ألست تستخلص من عطف « يسقط فـى الوحـل » على « يصيب » و« يضربه » أن فاعلها جميعا واحدٌ هو الحوذى؟ ومع ذلك فإن الأصل الفرنسى ينص على أن الذى يسقط فى الوحل هو الأعمى . والسرّ فى وقوع المترجم فى هذه العبارة المضطربة هو أنه ، حين تصرَّف فى الترجمة ، لم يحسن التصرف فاضطربت الضمائر واختلطت فى يده ، إذ إن الأصل الفرنسى ، بعد أن يذكر أن هوڤيه كـان يضرب الأعمـى ضربات عنيفـة ، يقـول : « وكان لسان السوط يلهب جراحه فسقط فى الوحل ... إلخ » .

كذلك فالمترجم بدل أن يقول ببسـاطة : « وأرادت ... أن يكون له عُثْنون » أو « ... أن يترك عثنونه ينبت » مثلا نجده يقول « وأرادت ... أن يطلق عثنونًا فى ذقنه »[(٢)]، وكأن العثنون فأر حبيس ، وكأن ذقنه حجرة يمكن أن نطلقه فيها . كمـا أنه بدلا من أن يقول فى ترجمة " dans ces punelles égarées " : « فى حدقيتـها الشاردتين أو الزائغتين » يقول « فى حدقتيها الضالتين »[(٣)]. وحين

(١) ٢/ ١٠٨ .

(٢) ٢ / ١١٧ . و « العثنون » هو اللحية الصغيرة النابتة على الذقن .

(٣) ٢ / ١٢٢ .

يشكو تاجر الأقمشة المتجول مـن عجزه عـن استرداد ديونه من مدينيه (وهذا هو النص الفرنسي : " On lui mangeait la laine sur le dos ") يأتـى المترجـم ليقول : «إنهـم ليأكلون الصوف من فوق ظهره »[١]، وهي ترجمة حرفية ركيكة ، وكان بوسعه أن يستخدم العبارة الجارية : « يقصون ريشه » . وانظر كذلك إلى هذا التعبير الذى لا يستقيم جزؤه المأخوذ تحته خط على سَنَن العربية مهما تقلّبه على هذا الجانب أو ذاك : «ولكيلا تحسّ فى الليل ملاصقا لحمها بذلك الرجل الذى ينام متمدّدا إلى جوارها »[٢]، وهو ترجمة للعبارة التالية : "pour ne pas avoir, la nuit , aupres d' elle , cet homme étendu qui dormait" . أما الجملة التالية : "Elle souhaitait des amours de prince" فإنه ينقلها إلى العربيـة على النحو الركيك التالـى : « وتتمنـى غراميات أميـر »[٣] بدلا من « وتتمني أن يعشقها أمير » أو « أن يقع فى غرامها أمير » مثلا . وهـو يصف « الانفعـالات » بأنها « شاسعة »[٤] (ترجمـة لـ « im- mences passions ») ، فضـلا عن أن معنى "passions" هـو « عواطف » لا « انفعالات ». وهو يترجم "Elle se préesenta

---

(١) ٢ / ١٢٥ .

(٢) ٢ / ١٢٨ .

(٣) نفس الجزء والصفحة .

(٤) ٢ / ١٢٩ .

بـ « chez lui d'un air dégagé » ودخلت عنده في هيئة منطلقة »[١] جامعًا بذلك بين تهافت الأسلوب وغموض المعنى . والترجمة الصحيحة أو القريبة من الصواب هي : « وعليها سيما الارتياح » مثلاً . كذلك فبدلاً من أن يقول : « إنني سأطلعه على ...» (ترجمةً للعبارة التالية : " ...Je lui montrai " ، التي كررها التاجر مرتين وهو يلوح بورقة في يده مهدّدا إما بأنه سيريها لزوجها) نراه قد ترجمها بـ « إنني سأُظْهِر له ... إنني سأظهر له ... »[٢]. وحين يقول: « كانت مطروحة على ظهرها »[٣] نظن للتو ، ومعنا كل الحق ، أن شخصا قد طرحها على ظهرها ، بينما الأمر ببساطة ، حسبما جاء في الأصل الفرنسي ، هو أنها « كانت مستلقية على ظهرها : " couchée sur le dos " . وربما كان السبب في هذا الخطإ هو أنه ظن أن عليه أن يترجم اسم المفعول "couchée" باسم مفعول مثله مع أن اللغات غير متوازية دائمًا . أما حين تسأل الأم روليه عن الساعة فتجيب بأنها « Trois heurs , bientôt » فإنه يترجم ذلك بأنها « الثالثة عما قريب »[٤] بدلا من « الثالثة تقريبا » . أما قوله في

---

(١) ٢ / ١٣٢ .

(٢) ٢ / ١٣٣ .

(٣) ٢ / ١٤٥ .

(٤) نفس الجزء والصفحة .

ترجمة " se raidissant contre l'émotion " : « شدّ نفسه ضد الانفعال » [١] فهـو سرياني ، وكأنه لم يكن مستطاعًا ترجمته بـ «تماسَكَ» أو « سيطـر علـى مشاعـره » أو « ضبـط انفعـالاتـه » أو « تمالك جأشه » ... إلخ ... إلخ !

وهذه بعد ليست إلا أمثلة . إلا أن الإنصاف يقتضينا أن نقرر أن الترجمة بطبيعتها تقيّد حركة الكاتب وحريته . ويمكن تشبيه المترجم بالأحول الذى تنظر كل من عينيه فى اتجاه مخالف : فعينٌ على الترجمة ، وعين تحاول العثور على اللفظ والتركيب والتعبير المناسب . إنه ، وهو يكتب ، لا يَمْتَح من ذهنه وخياله وعواطفه بل من ذهن كاتب آخر لا ينتمى إلى لغته ولا ثقافته ، ومن عواطف ذلك الكاتب وخيالاته . وهذه كلها حواجز تجعل الترجمة أمرا مرهقا . ولهذا السبب قلما نجد أسلوب الترجمة طبيعيا كأسلوب الكتابة الأصلية . والذى يراجع أسلوب يحيى حقى مثلاً فى ترجمته لكتاب « القاهرة » لديزموند ستيوارت أو لسيرة إسكندر دوماس سوف يجده مختلفا عن أسلوبه فى كتاباته هو . أما المرحوم إبراهيم المازنى ، الذى أثنى العقاد ، طيب الله ثراه ، على عبقريته فى الترجمة ، فقد أثبتت د. نعمات فؤاد فى كتابها عنه أنه لم يكن يلتزم بالأصل التزامًا تامًا ، بل كانت تسقط

---

(١) ٢ / ١٦٩ .

منه أحيانا بعض الكلمات والعبارات ، كما كان يتصرف فى عبارة الأصل حتى توافق الترجمة ذوقنا العربى (١)، ومن هنا جاء أسلوبه فى الترجمة ناصعًا عليه سيما الجزالة والحيوية التى تطبع أسلوبه العبقرى المبين . أقول هـذا لكى أبيّن أننا لا ننتظر أن تكون مهمة المترجم ميسورة ، ولكن على من يضطلع بهذه المهمة أن يرهق نفسه قليلاً وأن يتشكك فى صياغته ويفتح دائمًا المعاجم التى ينبغى أن يحيط نفسه بها. وليس فى هذا أية غضاضة ، فإن من يعرف لغة أجنبية لا يجد صعوبة فى فهم ما يقرأ فهمًا واضحًا ، إنما المشكلة تبدأ حين يكون عليه أن ينقل ما فهمه إلى لغته ، إذ إن عملية الفهم شىء ، والنقل شىء آخر . إننا نفهم النص الأجنبى بعقلية اللغة التى كُتِب بها ، أما الترجمة فتحتاج عقلية أخرى هـى عقلية اللغـة التى سيتـم النقل إليها . وإذا كان قد قيل عن كاتب القصة التى بين أيدينا إنه كان يعيد صياغة كثير من جمله وعباراته مراتٍ ومرات رغم أنه لم يكن يترجـم بل ينشئ ، فما بالنا بمن يترجم ؟

لقد أشرت إشارة عارضة إلى أنه كان يسقط من الأستاذ المازنى ، وهو يترجم بعض القصص الانجليزى ، أشياء من عبارة الأصل . وأود

(١) انظر د. نعمات أحمد فـؤاد / إبراهيم عبد القادر المازنى / ٢٨٥ ـ ٢٨٧ .

أن أشير بسرعـة هنا إلى أن هـذه الملاحظـة صادقة أيضاً على ترجمة « مدام بوڤارى » للدكتور مندور . وأستطيع أن أعد عشرات من الأمثلة على هذا ما بين كلمة وجملة طويلة . ترى هل من الممكن أن يكون د. مندور قد ترجم عن طبعة أخرى غير التى بين يدىّ قد سقطت منها العبارات غير الموجودة فى ترجمته ؟ ذلك أن فى ترجمته بعض الكلمات التى لا يوجد ما يقابلها فى طبعة الأصل التى فى حوزتى ، وإن كنت أستبعد أن تكون هناك طبعة تعانى من كل هذا النقص .

والآن ننتقل إلى الترجمة نفسها . وأحب أن يكون واضحًا منذ الآن أنى لن أتلبّث أمام صحة الترجمة حين تكون صحيحة ، إذ إن ذلك هو أقل ما يُنْتَظَر من الدكتور مندور ، الذى قضى قريبا من عشرة أعوام فى فرنسا مختلطًا اختلاطًا واسعًا بالحياة والثقافة الفرنسية كما يقول ، وبخاصة أن الترجمة نفسها فى حالة صحتها ليست من الجودة بمكان . وفوق ذلك فهى تعانى من عيوب عدّة ذكرت بعضها المتعلّق بالصياغة العربية ، وهأنذا أُثنّى فأعرض لبعضها المتّصل بفهم النصّ الفرنسى ذاته .

وقبل الشروع فى هذا لا يفوتنى التنبيه إلى أن ترقيم الفصول فى الترجمة لم يطّرد إلى نهاية الرواية : إن الفصول فى لجزء الأول مرقمة ، وكذلك أول فصل فى الجزء الثانى ، وهو الفصل التاسع من القسم

الثانى من الرواية ، أما بعد ذلك فيشار إلى بداية كل فصل بثلاثة نجوم، مع أن هذه العلامة قد استخدمت فى الجزء الأول لتقسيم الفصل الواحد إلى أجزاء . ولست أدرى لِمَ لَمْ يَجْرِ المترجم على وتيرة واحدة . والآن إلى الترجمة :

وأول ما يلفت النظر هو أسلوب مندور فى ترجمته لأسماء الأعلام ، بلادا كانت أو أشخاصًا أو صُحُفا ... إلخ . وهذه بعض ملاحظات سريعة فى هذا الصدد : إنه يكتب اسم بطلة القصة هكذا: « إيما »، وهى طريقة تبتعد عن النطق الصحيح لاسمها (Emma) ، الذى كان ينبغى أن يُكْتَب بالعربية على النحو التالى : « إمّا » بحذف الياء وتشديد الميم . أما بعض أسماء الشخصيات التى أتى ذكرها عَرَضًا فى الرواية فقد علّق عليها بما يوضحها للقارئ ، بيد أنه هنا أيضًا لم يسر على وتيرة مطردة : فمرة يكون التعليق فى صُلْب النص كما فى إضافته ، بعد اسم « بولانچيه » ، هـذه العبارة : « مؤلف الأشعار الغنائية » [(١)] ، ومرة يَرِد فى الهامش مثلما هو الحال مع اسم «أبقراط»[(٢)] . أما أسماء المدن فبعضها يُحْتَفَظ به كما هو مثل «برتو» و « لونچڤيل » و « سان ڤيكتور » ، وبعضها يُتَرْجَم نصفه إلى العربية ، مثل « أيونڤيل ـ الدير » ، وذلك لأن فلوبير قد شرح سرّ تسميتها بهذا

---

(١) ١ / ١٥ .

(٢) ١ / ٣٩ .

الاسم حين ذكرها لأول مرة . بَيْدَ أن فلوبير لم يعد إلى ذلك مرة أخرى ، وكان ينبغي على الدكتور مندور أن يحذو حذوه ، فإن أسماء الأعلام لا تُتَرْجَم ، اللهم إلاّ إذا أراد المترجم لقارئه أن يلمح شيئا ذا دلالة خاصة فى أحدها ، وحينئذ توضع الترجمة بين قوسين بعد إيراد الاسم كما هو . وقد فعل فلوبير ذلك مع « يونفيل لابى » ، إذ ذكر بين قوسين سر تسميتها هكذا .

والطريف أن المترجم قد جرى فى ترجمة أسماء المحلات على هذه الطريقة على رغم عدم الحاجة إليها ، إذ ما فائدة القارئ فى أن يعرف أن ترجمة اسم محل « التروا فرير » هى « الإخوة الثلاثة » ، أو أن « البارب دور » (وهو اسم محل آخر) يعنى « اللحية الذهبية » ، أو أن « الجران سوفاج » هو « المتوحش الكبير »(١) ، وبخاصة أن هذه المحلات لم يرد ذكرها إلا مرة واحدة عارضةً ثم نُسِيَتْ إلى الأبد ؟

أيا ما يكن الرأى فإن د. مندور قد أورد اسم صحيفة «لاكوربى» من غير ترجمة ، مع أنه قد شفع اسم مجلة « سيلف » بترجمته هكذا : « حوريات الصالونات » . وهى ترجمة خاطئة لأكثر من اعتبار ، علاوة على أن اسم المجلة (أو الصحيفة) بالفرنسية هو « le sylphe des salons » ، أى « لو سيلف دى صالون » لا «سيلف» فقط) .

---

(١) ١ / ١١٥ .

ويتبقى من أسماء الأعلام اسم العربة ، التى تُعَدّ فى الحقيقة إحدى شخصيات القصة البارزة . وقد سمّاها د. مندور « العصفورة » ، مع أن هذه الكلمة ليست الترجمة الصحيحة لاسمها الفرنسى (وهو " L' Hirondelle ") . وكان يستطيع أن يحتفظ بالاسم الفرنسى كما هو مع ترجمته حين يرد ذكره للمرة الأولى . أما الترجمة الدقيقة له فهى « عصفور الجنة » ، ذلك الطائر الذى يشق الهواء شقا، أما العصفور العادىّ فلا يرتبط اسمه بالسرعة ، التى ربما قُصِد تسمية العربية به للإيماء إليها . وقد تكون ترجمته بـ « الحمامة » أكثر ملاءمة لذوقنا الذى يرى فى ذلك الطائر رمزا على السرعة الشديدة .

ويمكن تصنيف ما يؤخذ على الترجمة إلى ملاحظات على ترجمة بعض الكلمات أو الجمل خطأ ، وملاحظات على عدم الدقة فى نقلها إلى العربية ، وملاحظات ثالثة على العجز عن إيجاد عبارة عربية تستطيع الاحتفاظ بالإيحاءات التى تشع من العبارة الفرنسية ، وملاحظات أخيرة على تأدية عكس المعنى، وإن كان هذا المأخذ الأخير جدّ قليل . وهذه بعض أمثلة على ما نقول :

فمثلاً يترجم د. مندور " Le médecin fut invité, par M. Rouault lui même, à <u>prendre un morceau</u> , avant de partir " هكذا : « دعا مسيو روو الطبيبَ <u>إلى بعض الطعام</u> قبل رحيله »[1] . ومن الواضح أن العبارة المأخوذ تحتها خط لا تؤدى إشعاعات

(١) ١ / ٢١ .

نظيرتها الفرنسية . وقد كانت الترجمة تكون أحسن لو أنها صيغت على هذا النحو : « ... دُعِىَ الطبيب ، من قِبَل مسيو روو نفسه ، إلى أن « يأكل لقمة » قبل انصرافه » . لقد كتب فلوبير هذه العبارة بالحروف المائلة ، وهو ما يقابل فتح علامتى تنصيص لاستقبال عبارة عامية مثلاً أردنا أن نؤديها كما سمعناها . وأظن أن فلوبير قد هدف بهذه العبارة إلى الإيحاء بأن علاقة خاصة بين الطبيب وأسرة مريضه قد شرعت تَنْبُت فى تلك اللحظـة التـى دعاه فيها هذا إلى أن « يأكل لقمة » قبل أن ينصرف .

أما فى الصفحة التى تلى ذلك فى الترجمة فإننا نقرأ هذه الجملة فى وصف شَعر إمّا وهى جالسة قبالة شارل تأكل معه اللقمة التى دُعِىَ إليها : « كانت رقبتها تظهر خلال ياقة مزدوجة ، وضفيرتاها السوداوان الناعمتان تبدوان ، لفـرط نعومتهـما ، قطعة واحدة تنشق إلى شعبتين عند منتصف الرأس بخط مستقيم يتبع استدارة الرأس ، ثم تعود الشعبتان إلى الالتقاء خلف الرأس فى كعكة سميكة تنحدر منها خصلتان نحو الصدغ لا تكاد أذنا الفتاة تبينان خلالهما » . والحق أن الأصل لا يقول هذا ، بل يجرى الكلام فيه على النحو التالى: « وكان شعرها ، الذى تبدو ضفيرتاه السوداوان كأن كلا منهما ، لفرط ملاستها ، قطعة واحدة تشقه فى منتصف الرأس فَرْقَة رقيقة ... إلخ » . فليست الضفيرتـان همـا اللتين تبدوان كأنهمـا قطعة واحدة ، بل كل

ضفيرة علـى حدة هـى التى تبدو كذلك . وليست تلك القطعة الواحدة هى التى تنشق إلى شُعْبتين (أية شعبتين يا ترى ؟ وهل كلمة « شعبــة » ، حتـى إن صح أن الترجمة قد أدت المعنى ، تناسب السياق ؟) ، بل إن شعر الرأس كله هو الذى يوصف بأنه مفروق من الوسط ... إلخ .

وحين يطلب شارل من مسيو روو يد ابنته نراه ، حسب الترجمة، يردّ عليه بقوله : « إننى شخصيا لا أتمنى أفضل منك (الترجمة إلى هنا مقبولة) ، ولكن للبُنَيَّة رأيها (هنا الخلاف) ولا بد من سؤالها »[1]. والحقيقة أن حَمَا المستقبل لم يصدر عنه ما تحته خط ، بل نص عبارته هو : " Quoique sans doute la petite soit de mon idée, il faut pourtant lui demander son avis " ، وترجمتها هى : « وبرغم أنى لا يخالجنى شك فى أن موقف البُنَيَّة هو نفس موقفى فينبغى مع ذلك أخذ رأيها » .

كذلك يترجم مندور الجملة التالية التى تصف موكب عُرْس بين الحقول : "Et, en prêtant l'oreille , on entendait toujour le crincrin du ménétrier qui continuait à jouer dans la campagne " هكذا : « وكانت أنغام العازف الذى واصل

---

(١) ١ / ٣٢ .

العزف خلال الحقول تعلو إذا ما جنحوا إلى الصمت »[١]. فإذا عرفنا أن " le crincrin " هو الكمان الردىء ، وأن " le ménétrier " هو «عازف كمان أو شبابة فى القرى للرقص» لم يكن من الصعب معرفة أن فلوبير يسخر من العازف وعزفه ، وأن الترجمة ربما كانت أقرب إلى الصواب لو جاءت على النحو الآتى : « وحين كانوا يرهفون آذانهم كانوا يسمعون دائما كمانجة الكمانجاتى الماضى فى العزف خلال الحقول » .

ولا شك أن مندور قد بخس التعبير الفرنسى التالى " en arabesque de nonpareille " حقه حين أداه هكذا : « فى زخرفة عربية جميلة »[٢]، فإن « جميلة» تقلّ عن "nonpareille" كثيرا ، إذ هذه تعنى « فريدة / لا نظير لها ... إلخ» .

والآن إلى هذه الجملة : " La première n'etait point meublée " التى تتحدث عن حجرة خالية تماما من الأثاث ، والتى يترجمها مندور مع ذلك بقوله : « فإذا بأول حجراته تكاد تكون خالية من الأثاث تقريبا » ، وهو ما يجمع بين خطإ الترجمة وإقحام لفظة « تقريبا » بلا داع ، إذ إن الفعل « تكاد » يكفى . والشىء ذاته يقال

---

(١) ١ / ٣٥ .

(٢) ١ / ٣٥ .

عـن هـذه الجملـة : " Elle songeait quelquefois que : c'étaient là pourtant les plus beaux jours de sa vie " ، فقد ترجمها بقوله : « على أنها كانت تخال أحيانا أن الأيام المقبلة هي أجمل أيام حياتها »[١] ، بينما الترجمة الصحيحة ، فيما أظن ، هي « ... أن تلك الأيام ، مع ذلك ، هي أجمل أيام حياتها » (« تلك الأيام » لا « الأيام المقبلة » ، علاوة على أنه قد أهمل ترجمة « مع ذلك ») .

على أنني أقدّر أن ترجمة " des rince - bouche " بـ « سلاطين تُمْلأ بالماء لتُغْمَس فيها الأصابع بعد تناول الحلوى » [٢] كانت سهوا مضحكا منه ، إذ إنه ، فيما يبدو ، حين فتح المعجم ليبحث عن معنى هذه الكلمة التقطت عينه سهوا معنى الكلمة التي تليها ، وهي "des rince - doigts " .

ومرة أخرى تختلط الضمائر على مندور كما في هذا المثال : " Elle lui appelait, en manière de souvenirs, ses peines et ses sacrifices , et les comparant aux négligences d' Emma, concluait qu'il n'etait point rai-

---

(١) ١ / ٤٩ .

(٢) ١ / ٥١ .

sonnable de l'adorer d'une façon si exclusive " ، إذ يترجم الجملة على النحو التالى : « وكانت تروى له مشقاتها وتضحياتها على سبيل الذكرى ، وتقارنها بإهمال إمّا عسى أن يستنتج أنْ ليس من الحكمة أن يعبد السيدة الشابة ... إلخ » ، مع أنها هى التى تنتهى ، من خلال المقارنة ، إلى هذه النتيجة . ثم إنها لا تأمل أن يستنتج ابنها هذا ، بل هى التى تقرر له ذلك .

وفى أول جملة فى الفصل الثامن نجده قد تصرف فى تركيب العبارة تصرفا غير حميد ، فهو يقول : « كان القصر مبنيا على الطراز الإيطالى الحديث : يمتد منه جناحان ، وله ثلاثة مداخل تمضى إلى شرفات ذات درجات ... وكان يقوم فى نهاية مرج واسع ... إلخ »[١] ، أما النصّ فيقول ما معناه : « كان القصر المبنى على الطراز الإيطالى بجناحيه البارزين ومداخله الدَّرَجيّة ينبسط عند أسفل مرج واسع ... إلخ » ، أى أنه قد فتت الجملة الواحدة إلى عدة جمل من غير أن يكون هناك سبب واضح . إن المترجم قد يُضْطَرّ إلى مثل هذا لو تعسّر عليه أن يضم أطراف الجملة فى خيط واحد ، أما هنا فإن طول الجملة وتركيبها معقولان جدا . وبعد ذلك بأسطر معدودة نجده يترجم " des bâtiments à toit de chaume " بـ « مبان مفروشة بالقش » ،

---

(١) ١ / ٥٦ .

وهو ما يؤدى معنًى مغايرا تماما ، إذ الكلام هنا عن « مبان مسقوفة بالقش » ، وشتان بين الأمرين . وبالمثل فإن عبارة « وكان سرواله يضغط على بطنه » تتحول فى الترجمة إلى « بينما كان شارل يشد بنطلونه إلى وسطه ... » [١] .

ويترجم مندور عبارة " Quand les mareyeurs, dans leurs charrettes, passaient sous ses fenêtres en chantant la Marjolaine, elle s'éveillait " بـ « وكان صيادو السمك يمرون فى الليل تحت نوافذ الدار وهم يرددون أناشيدهم ، فكانت تستيقظ من نومها » . ولن أقف هنا عند تركيب الجملة الذى قدّم فيه وأخّر بدون مسوغ ، ولكننى أشير فقط إلى أن الـ " marey- eurs " هم « تجار السمك » لا « الصيادون » ، وأن المترجم كان خليقا أن يرتاب فى ترجمته لو أنه تنبه إلى شبه جملة " dans leurs charrettes " ، فإن غناء الصيادين مرتبط عادة بالقوارب والبحر وجوّه الشاعرى لا العربات الخشبية التى تقعقع عجلاتها على بلاط الشوارع. كذلك فإن ترجمة la Marjolaine بـ « الأناشيد » تبدو لى غير مقنعة . وأظن ، والله أعلم ، أن هذه أغنية كانت شائعة فى ذلك الوقت وليست نشيدا ، بله أناشيد .

---

(١) ١ / ٥٩ .

كذلك نراه يترجم "favoris noirs" بـ « شاربان أسودان»[١] . ولا أدرى كيف يكون للشخص الواحد شاربان إلا أن يكون المقصود طرفى الشارب . إن الحديث هنا عن وجه ذى " favoris noirs "، والترجمة الصحيحة هى « عِذَاران أسودان » . والعِذار ، كما نعرف ، هو ما ينبت على صفحة الخد .

أما الخطأ التالى فهو ليس بالخطإ الهين ، ولا أعرف للمترجم فيه عذراً . إن الصيدلى يتحدث إلى صاحبة النزل منتقدا بينيه الصموت ومتهما إياه بالافتقار إلى الخيال والفكاهة ، فتعترض عليه قائلة : « ومع ذلك فهم يقولون إن عنده مواهب (Il a des moyens) »، فيتساءل الصيدلى مستنكرا : « مواهب ؟ مواهب ؟ فى مهنته ، هذا ممكن (Dans sa partie c'est possible) » . بيد أن مندور قد ترجمها هكذا : « ومع ذلك فإنهم يقولون إن له أصدقاء ومجالس » ، « مجالس! ... مجالس! ... من المحتمل أن تكون على شاكلته ! »[٢] .

وحين يؤكد هذا الصيدلى أن الإنسان غير محتاج فى عبادته لله إلى الذهاب إلى الكنيسة ليقبّل الأوانى ويدفع من جيبه للقسيس ، ثم يعقب قائلا : " Car on peut l'honorer aussi bien dans un bois" يترجم مندور هذه العبارة قائلا : « إن المرء ليستطيع أن

(١) ١ / ٧٥ .
(٢) ١ / ٨٧ .

يهتدى إلى الله فى غابة ... »[١] . والصواب هو : « إن المرء ليستطيع أن يعبد الله ... إلخ » . كما أنه يترجم هنا أيضا وصف الصيدلى للقُسُس بأنهم " un tas de farceurs " بـ « رجالا لا يصلحون لشىء ، ولا نفع منهم » ، وهو حشو وتطويل لا داعى له ، فوق أنه خطأ، إذ المعنى هو : « حشد من المهرجين » . أما وصف آل تيڤاش بأنهم "faisait beaucoup d'embarras..." فيترجمه إلى « كما كان آل توڤاش فى أفخم مظهر »[٢] ، وهو كلام بعيد عن الصواب ، والصحيح هو : « ثم إن عندك آل توڤاش ! اللى طالعين فيها قوى » ، أى المتعجرفين الكثيرى الادعاء .

وبعد ثمانى صفحات نجد هذه العبارة عن الصيدلى (الصيدلى الذى يكره القساوسة ويسخر منهم دائما) : « وكان يسرح مع الخيال إذا ما قرأ فقرات بديعة ، ولكنه كان يغتم إذا تذكر أن أهل المجون والمهرجين قد يستغلونها فى ألاعيبهم على الغير »[٣] . والواقع أنه لا ذكر هنا لمهرجين ولا يحزنون ، بل الكلمة هى " les calotins " ، وهى لفظة تحقير للقُسُس أو أشياعهم . وها هى ذى الترجمة الصحيحة للعبارة « ... إذا ما خطر له أن القساوسة سوف يضيفونها

(١) ١ / ٨٨ .

(٢) ١ / ٩٤ .

(٣) ١ / ١٠٢ .

لبضائعهم » . وحين يقوم ليون بينه وبين نفسه شخصية زوجة الصيدلى فيرى أن فيها برغم طيبتها من العيوب ما لا يتصور معه أنها لا تصلح قط زوجة لأحد ، يؤدى المترجم هذا على النحو التالى : « ... حتى ما كان أحد ليتصور أنها تصلح زوجة لغير الصيدلى »[١]. والحقيقة أن معظم الفقرة التى وردت فيها هذه الجملة يسوده الاضطراب فى فهم المعنى وفى ترتيب الجمل . ولمن شاء أن يقابل بين النص الأصلى[٢] والترجمة .

وبالنسبة للعبارة التالية : " Puis, quand il s'était posé à sa place contre la table, entre les deux époux... " نجد مندور يترجمها بقوله : « فإذا اتخذ مجلسه إلى مائدة الزوجين ...»[٣]. ولا شك أنك تستطيع أن تلاحظ بنفسك عدم الدقة فى الترجمة ، إذ النص يقول إن الصيدلى كان ، عندما يجلس فى مكانه إلى المائدة بين الزوجين ، ... إلخ .

ومن الخطإ ترجمة الـ " nouveautés " بـ « الكماليات »[٤]، إذ ترجمتها الصحيحة : « الجديد من الأزياء » . كذلك فإن ترجمة

---

(١) ١ / ١٠٨ .

(2) p. 64 .

(٣) ١ / ١٠٩ .

(٤) ١ / ١١٥ .

"nez droit" بـ « أنف أقْنَى » مجانبة للصواب ، لأن « الأنف الأقنى » هو الذى ارتفع أعلاه ، واحدودب وسطه ، وضاق منخراه . أما " droit " فمعناها « مستقيم » . ومثل ذلك فى الخطإ ترجمة " hirondelles " بـ « بعض الطيور »[١] ، فالطيور أنواعها بالآلاف ، فأىَّ الطيور يقصد يا ترى ؟ ولِمَ لَمْ يقل : « عصافير الجنة » ؟ كذلك ترجم " un acacia" بـ « شجرة لبخ »[٢] ، وهو خطأ . وللمرة الثانية أيضاً نراه يترجم " farceurs " بغير معناها ، وإن جعلها هذه المرة « كلابا » ، وزاد فوضعها بين قوسين ![٣] وهو يترجم " harpes " بـ « الأعواد »[٤] ، كما أن « صندوق الذخائر المقدسة: un reliquaire » ينقلب على سن قلمه إلى «أيقونة»[٥] ، و « السرداب : un souterrain » إلى « تابوت »[٦] ، و « الميدان : la place » إلى « شاطئ»[٧] . وهو يجعل الجملة الدعائية التالية : " Dieu nous protège " خبرا ، مترجما إياها هكذا : « إن عناية الله ترعانا »[٨] .

وبعد عشر صفحات نقرأ الكلام التالى : « ولم تَدْرِ هل تندم لاستسلامها له أم على العكس تأمل فى أن تزيده حبا ، وهل ينقلب

---

(١) ١ / ١٢٣ .

(٢) ١ / ١٣٢ .

(٣) نفس الجزء والصفحة .

(٤) ٢ / ٥٩ .

(٥) ٢ / ٦٠ .

(٦) ٢ / ٦١ .

(٧) ٢ / ٦٨ .

(٨) ٢ / ١١ .

الصّغار الذى أحسته لضعفها إلى حقد لا تطفئ ناره اللذات ؟ » ، بينما كان ينبغى أن تكون الترجمة هكذا : « ولم تكن تدرى أهى نادمة على استسلامها له أم على العكس تتمنى أن تحبه أكثر . لقد كانت مَذَلّةُ شعورها بالضعف تنقلب إلى حقدٍ يلطّف منه ما تناله من ملذات » ، ويا له من فرق بين الترجمتين !

ومندور ، بلا ريب ، لم يكن موفقا حين ترجم إلى العربية هذه الجملة الإنجليزية التالية " That is the question " ، التى طعّم بها الصيدلى حديثه مع الطبيب تحذلقًا . لقد كان ينبغى عليه أن يدرجها كما هى فى صلب الحوار ثم يترجمها بعد ذلك فى الهامش حتى لا يفوت القارئ ما قصده فلوبير من إجرائها على لسان الصيدلى، وهو ما فعله (حسبما أذكر) د. شكرى عياد فى ترجمته لرواية « دخان » لترجنيف ، إذ أبقى التعبيرات والجمل الفرنسية التى كان يتحذلق بها بعض شخصيات الرواية كما هى مع إيراد ترجمتها فى الهامش ، وكان ينبغى على د. مندور أن يفعل نفس الشيء .

ويترجم مندور العبارة التالية "Et les chasseurs partirent" بـ « واستأنف الصيادون غناءهم »(١) ، ولا أدرى لماذا . كذلك ترجم عبارة : " indécis entre la franchise de son plaisir et le

(١) ٢ / ٦٩ . والصواب : « ورحل الصيادون » .

على respect qu'il portait aux opinions de sa femme" النحو التالى : « وهو يتأرجح بين حيرته الواضحة والاحترام الذى يحمله لآراء زوجتـه » ، بينمـا صـواب ما تحتـه خـط هو « سروره الواضح الصريح »[١].

وهو يأتى بالترجمة التالية : « وكان ورق الحائط الأصفر يتلون من خلفها بأرضية مذهبة »[٢] فى مقابل "Le papier jaune de la muraille faisait comme un fond d'or derrière elle" ، مع أن الصواب هو « وكان ورق الحائط الأصفر يبدو من ورائها كأنه خلفية مذهبة » .

أما هذه الجملة : " ... puis s'étant fait défriser , se frisa, pour donner à sa chêvelure plus d'élégance naturelle " فقد عكس معناها ، إذ قال : « ... ثم جعّد شعره ، وعاد فأسيله ... إلخ »[٣] ، بينما الصواب « ثم بعد أن أزال تجعُّد شعره عاد فجعّده ... » .

وهناك غلطة طريفة وقع فيها د. مندور إذ وردت (فى جملة

(١) ٢ / ٧٣ .

(٢) ٢ / ٧٦ .

(٣) ٢ / ٨٠ .

تتحدث عن إمّا وهى تصفف شعرها عند أحد مصففى الشعر) هاتان الكلمتان : " odeur des fers " ، فترجمهما بـ «رائحة الحدائد» ، مع أن الكلام عن رائحة مكاوى الشعر . وطرافة هذه الغلطة أن الدكتور مندور نفسه كان قد نقد الشاعر على محمود طه نقداً لاذعا لترجمته كلمة فرنسية فى صيغة الجمع بنفس المعنى الذى لها فى صيغة المفرد، وهى كلمة « enfers »[١]، ثم ها هو ذا الدكتور مندور يقع فى غلطة مشابهة .

وبعد ، فهَذه أمثلة فحسب من الأخطاء الكثيرة والمتنوعة التى تمتلئ بها ترجمة د. محمد مندور لرواية الأديب الفرنسى جوستاف فلوبير « مدام بوڤارى » . وإذا كان الأمر كذلك فكيف واتت المسؤولين فى دار الهلال أنفسُهم على وصف تلك الترجمة بأنها « ترجمة كاملة ودقيقة » [٢]؟ الواقع الذى لا سبيل إلى الارتياب فيه هو أن هذا الكلام لا يعدو أن يكون حكما مرسلا ليس له أساس من المقارنة بين النص الفرنسى ونظيره العربى . إننا جميعا معرّضون للوقوع فى الخطإ

---

(١) انظر د. محمد مندور / فى الميزان الجديد / ٣٢ . وفى معجم «المنهل» للدكتور جبور عبد النور والدكتور سهيل إدريس أن « Les Enfers » هى « مقر نفوس الموتى » فى الأساطير . أما على محمود طه فقد ترجمها ، كما قال د. مندور ، بـ « الجحيم » .

(٢) انظر كلمة دار الهلال على ظهر غلاف الترجمة .

سواء فيما نؤلف أو نترجم من كتب ، بيد أن تلك الكثرة الهائلة من الأخطاء هى مما تتجاوز مقدرة الضمير العلمى على الاحتمال ، وأشدُّ من ذلك إغراقا فى التجاوز هذا الحكم الذى أصدرته دار الهلال العريقة على الترجمة . إنه ببساطة حكم مضلِّل وغير مسؤول [١] ، والله يتولانا بفضله ورحمته .

وهناك نقطة أخيرة ، وهى أن مندور ، فى حديثه مع فؤاد دوارة، قد ذكر أنه زار كنيسة مدينة روان ، التى ورد ذكرها فى بعض أعمال فلوبير وكذلك الدار الريفية التى اعتزل فيها هذا الأديب الفرنسى قريبا من تلك المدينة ليكتب « مدام بوفارى » والتى أحسّ هو عند مشاهدته لها بأنه « أمام معبد رهيب » على حد تعبيره ، وأن هذه الزيارة قد حوّلت ما كتبه فلوبير عن تلك الكنيسة « إلى حقائق حية نابضة موحية » [٢] . لكن ها هى ذى ترجمته لرواية « مدام بوفارى » تدل

---

(١) سبق أن تناولتُ بسرعةٍ تقويم هذه الترجمة وحكم دار الهلال عليها فى كتابى « افتراءات الكاتبة البنجلاديشية تسليمة نسرين على الإسلام والمسلمين ـ دراسة نقدية لرواية العار » (مكتبة زهراء الشرق / ١٩٩٦م/ ١١٦ ـ ١١٧) . ويجد القارئ قبل ذلك وبعده رأيى فى عدد من الترجمات المختلفة (ومنها ترجمات قرآنية إنجليزية وفرنسية) وفى الحكم عليها بهذه الطريقة غير العلمية .

(٢) انظر فؤاد دوارة / عشرة أدباء يتحدثون / ١٨٢ .

على أن مثل هذا الكلام هو مجرد دعوى عريضة يناقضها الواقع ، إذ قد تبيّن لنا فيما مرّ من صفحات أن فهمه لفلوبير وروايته وإحساسه بها معيبان أشد العيب . وهذا الادعاء العريض يذكّرنا بما قاله عن زيارته لبعض جزر اليونان وتشرّبه الروح الهلينية من مجرد رؤيته بعض الأحجار هناك، وهى الزيارة التى خرج فيها على قواعد البعثات وجرّته إلى الصدام دون وجه حقّ مع المسؤولين فى مكتب البعثات المصرى بباريس .

الفهـرس

دار الفردوس للطباعة
منشية السد العالي
ت ٢٩٧٩٥٣٥